لمعة الاعتقاد

الهادي إلى سبيل الرشاد

للإمام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي
(٥٤١ - ٦٢٠هـ)

شرح

محمد بن صالح العثيمين

حققه، وخرج أحاديثه

أبو محمد أشرف بن عبد المقصود

مكتبة دار طبرية

لمعة الاعتقاد

الهادي إلى سبيل الرشاد

للإمام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي
(٥٤١ - ٦٢٠ هـ)

شرح
محمد بن صالح العثيمين

حققه، وخرج أحاديثه
أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم

مكتبة دار طبرية

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم
لقد أذنت للأخ - أشرف عبد المقصود - بطبع بل بإعادة طبع شرح لمعة الاعتقاد بشرط العناية بالتصحيح وأن لا يحتفظ بحقوق الطبع لمن أراد طبعها مجانا قاله كاتبه محمد الصالح العثيمين في ١٢/٧/١٤١٢هـ
محمد العثيمين

الطبعة الثالثة
١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

مكتبة طبرية - الرياض - النسيم - أول شارع الأربعين التجارى بجوار بنده

ت : ٢٣٢١٠٤٥ - ص.ب ٩١٦٦٧ لصاحبها/ على صنهات الحربي

الموزعون المعتمدون لمنشوراتنا

* المملكة العربية السعودية: مؤسسة الجريسي.
* الإمارات العربية المتحدة: مكتبة دبي للتوزيع.
* قطر: مكتبة ابن القيم - ت ٨٦٣٥٣٣.
* باقي الدول: دار ابن حزم - بيروت - ت ٨٣١٣٣١.

مقدمة التحقيق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

وبعـــد :

فهذا كتاب « شرح لمعة الإعتقاد لابن قدامة» تأليف الشيخ محمد الصالح العثيمين فى حلته الجديدة نقدمه لإخواننا المسلمين ليروا فيه صورة مشرقة زاهية ناصعة نقية لاعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة . وفى وقت أحوج ما نكون فيه إلى تصحيح الإعتقاد الذى هو بمثابة الأساس الراسخ لبنيان الأعمال الصالحة . وقد ضرب مؤلف هذا المعتقد بسهم وافر فى السير على طريقة السلف وأئمة المحدثين فى هذا الباب فتراه قد ملأ كتابه بالآيات القرآنية والنصوص الحديثية وأقوال الصحابة وأقوال الأئمة الأعلام . فقد كان رحمه الله حسن الاعتقاد[١] ، نزهاً عابداً على قانون السلف[٢] إماماً فى العلم والعمل . وكان لهذا المعتقد السليم أثر بالغ فى حياته حتى قالوا عنه : « من رآه كأنه رأى بعض الصحابة »[٣] وقد نقل العلامة ابن القيم فى كتابه اجتماع الجيوش الإسلامية فقرة من هذا المعتقد وصدر ذلك بقوله: «قول شيخ الإسلام موفق الدين أبى محمد عبدالله بن أحمد المقدسى الذى اتفقت الطوائف على قبوله وتعظيمه وإمامته خلا جهمى أو معطل »[٤] ا.هـ .

---

(١) وصفه بذلك عمرو بن الحاجب كما فى سير أعلام النبلاء (١٦٧/٢٢) .

(٢) وصفه بذلك ابن النجار كما فى الذيل على طبقات الحنابلة (١٣٥/٢) .

(٣) القائل هو سبط ابن الجوزى كما فى الذيل (١٣٤/٢) .

(٤) اجتماع الجيوش ص (١٩١) .

ورغبة فى نشر العقيدة الصحيحة قمنا بتدريس هذا الكتاب فى مسجدنا لإخواننا بالاستعانة بشرح الشيخ محمد الصالح العثيمين وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم وغير ذلك من المصنفات فى هذا الباب . فألح على بعض الإخوان فى تخريج هذا الشرح وطبعه مع المتن لتعم الفائدة فألفيته اقتراحاً سديداً فاستخرت الله تعالىٰ واستعنت به وشرعت فى ذلك سائلاً المولى جل وعلا أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به مؤلفه وشارحه ومن علق عليه وناشره وقارئه وطابعه :

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾

[الشعراء : ٨٨ ، ٨٩]

وخير وصية أوصى بها إخوانى فى هذا المقام هى قول الله تعالى :

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

[البقرة : ٢٨٢] .

وما أحسن ما قال الإمام الأوزاعى رحمه الله : « عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس ، وإياك ورأى الرجال وإن زخرفوه لك بالقول ، فإن الأمر ينجلى وأنت على طريق مستقيم »(١) .

وقال : « فاصبر نفسك على السنة ، وقف حيث وقف القوم ، وقل فيما قالوا ، وكف عما كفوا عنه ، واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم »(٢) .

والله تعالى أسأل أن يرزقنا علماً نافعاً وعملاً صالحاً متقبلاً . كما نسأله سبحانه أن يعيذنا من علم عاد كَلّاً وأورث ذُلّاً وصار فى رقبة صاحبه غُلّاً وأن يمن علينا بتحقيق التوحيد علماً وعملاً واعتقاداً وحالاً ونعوذ بالله أن يكون حظنا من ذلك مجرد حكايته

---

(١) أثر صحيح ، يأتى تخريجه ص (٤٢) من هذا الكتاب .

(٢) رواه اسماعيل بن الفضل فى الحجة فى بيان المحجة بإسناد صحيح .

وحسبى الله ونعِم الوكيل ، ولاحول ولا قوَّة إلا بالله العزيز الحكيم ، ماشاء الله لاقوَّة إلا بالله ، توكلت على الله ، اعتصمتُ بالله ، استعنتُ بالله ، وفوَّضتُ أمرى إلى الله ، واستودعت الله دينى ونفسى ووالدىّ وإخوانى وأحبائى وسائر من أحسن إلىَّ وجميع المسلمين وجميع ما أنعم به علىَّ وعليهم من أمور الآخرة والدُّنيا ، فإنه سبحانه إذا استودع شيئاً حفظه ونعم الحفيظ(*) .

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين وسلم تسليماً .

وسبحانك اللهم وبحمدك . أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك .

مصر . مدينة الإسماعيلية . الجمعة ٦ من رجب ١٤١٠هـ .

وكتب

أشـرف بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم .

(*) الأذكار للنووى (ص٤٤) بتصرف .

عملنا في الكتاب

١ - جمعنا فى هذه الطبعة بين المتن لابن قدامة والشرح للتيخ محمد الصالح العثيمين بطريقة تسهل على القارىء الاستيعاب حيث فصلنا بين المتن والشرح بكلمة « الشرح » .

٢ - وضعنا الآيات من المصحف كما ضبطنا الأحاديث ، والآثار ومايشكل من العبارات والألفاظ فى المتن والشرح .

٣ - خرَّجنا الآيات وبينا مواضعها فى المصحف ووضعنا التخريج بجانب كل آية .

٤ - تخريج الأحاديث والآثار والأقوال وبيان درجة كل منها مع مراعاة أنه إذا كان الحديث فى الصحيحين أو أحدهما فيكتفى بذلك كما هى طريقة الحافظ العراقى فى تخريج الإحياء .

٥ - أضفنا بعض التعليقات المهمة من استدراك أو تعقيب أو توضيح أو تنبيه أو غريب أو فائدة ... إلخ .

٦ - قدمنا بمقدمة تشمل ترجمة مختصرة لابن قدامة ونبذة عن تصانيفه فى الاعتقاد . ونبذة عن الشيخ محمد الصالح العثيمين وتصانيفه فى الاعتقاد .

٧ - وضعنا للكتاب فهارس تفصيلية للموضوعات ، والآيات ، والأحاديث ، والآثار .

٨ - اعتمدت فى الطباعة بالنسبة لمتن « لمعة الإعتقاد » طبعة الدار السلفية بالكويت بتحقيق بدر البدر لأنها مرقمة ومنظمة ونبهت على بعض الفروق فى الهامش . وكذا وضعنا عناوين رئيسية للمتن تناسب الفقرات .

□ الطبعات السابقة لمتن « لمعة الاعتقاد لابن قدامة » :

١ - طبعة مطبعة الترقى بدمشق سنة ١٣٣٨هـ . عن مخطوطة كتبها عمر بن غازى على المقدسى الحنبلى . وفرغ من كتابتها فى ليلة السابع من شهر رجب سنة ٧٧٥هـ . بدمشق وعلى هذه الطبعة توالت جميع الطبعات .

٢ - طبعة مطبعة المنار سنة ١٣٤٠هـ . ضمن مجموع « عشر رسائل وعقائد » بإشراف الشيخ محمد أحمد عبدالسلام .

٣ - طبعة المطبعة السلفية بالروضة بمصر سنة ١٣٧٠هـ . عن طبعة الترقى بدمشق وعليها تعليقات غير منسوبة وهى من منشورات المعهد العلمى بالرياض كما كتب عليها .

٤ - طبعة دار البيان بدمشق سنة ١٣٩١هـ بتحقيق الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط دون أن يكتب اسمه عليها ، ثم أُعيد طبعها بالمكتب الإسلامى سنة ١٣٩٥هـ كذلك ثم أعيد طبعها مع تنقيحات بدار الهدى بالرياض سنة ١٤٠٨هـ وكتب عليها اسم الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط ومقدمة له أيضاً .

٥ - طبعة الدار السَّلفية بالكويت سنة ١٤٠٦هـ ضمن سلسلة عقائد السلف بتحقيق بدر البدر . وذكر فى أولها أنه اعتمد على طبعة المنار ١٣٥١هـ .

٦ - طبعة مكتبة القرآن بمصر ١٤١٠هـ باسم « الإعتقاد » وهى من أسوأ الطبعات من حيث التعليق والشرح حيث أساء محقق الكتاب جداً فى التعليق على هذه الطبعة فحشاها بالتأويلات الباطلة لأيات وأحاديث الصِّفات وقرَّر فيها منهج الأشاعرة فليحذر مُطَالع هذه الطَّبعة من هذه الأمور المخالفة للاعتقاد الصَّحيح اللَّهم هل بلغت اللَّهم فاشهد .

□ هذا وقد طبع شرح لمعة الاعتقاد للشيخ محمد الصالح العثيمين بمكتبة الرشد بالرياض سنة ١٤٠٣هـ . وانتشرت بعد ذلك طبعاته وكل هذه الطبعات بدون المتن .

* * *

ابنُ قُدَامَةَ المقْدِسِيِّ في سُطُورٍ

□ **اســمه ونسـبه :**

هو موفق الدِّين أبومحمد ، عبدالله بن أحمد بن محمد بن قُدَامة بن مقدام بن نصر بن عبدالله المَقْدسى ، ثم الدِّمشقى ، الصَّالحى .

□ **ولادتـــه :**

ولد فى شعبان سنة ٥٤١هـ ، بقرية جَمَّاعيل من جبل نابلس .

□ **نشــأته ورحــلاته :**

– قدم دمشق مع أهله وله عشر سنين ، فقرأ القرآن ، وحفظ مختصر الخرقى .

– رحل إلى بغداد هو وابن خالته الحافظ عبدالغنى سنة ٥٦١هـ وسمعا الكثير من مشايخ كثيرين فيها ..

– تفقَّه حتى فاق أقْرانه وحاز قصب السبق ، وانتهى إليه معرفة المذهب وأصوله .

□ **ورعـــه وزهــده :**

كان ورعاً ، زاهـداً ، تقياً ، عليه هيبة ووقار ، وفيه حلم وتؤدة ، وأوقاته مستغرقة للعلم والعمل ، وكان يفحم الخصوم بالحجج ، والبراهين ، ولايتحرج ولا ينزعج ، وخصمه يصيح ويحترق .

□ شـــيوخه :

تَلَقَّى الشَّيخ ابن قدامة رحمه الله العلم على عدد وافر من الشُّيوخ ومن أشهرهم تقى الدِّين أبومحمد عبدالغنى المقدسى ٦١٢هـ وفقيه العراق ناصح الإسلام أبا الفتح نصر بن فتيان الشهير بابن المنى .

□ تلاميـــذه :

كثر تلاميذه جداً ومن أشهرهم شهاب الدين أبوشامة المقدسى ٦٦٥هـ والحافظ زكى الدين أبومحمد المنذرى ٦٥٦هـ وغيرهما .

□ من أقـوال العلماء فيـه :

* قال أبوعمرو بن الصلاح : « مارأيت مثل الشيخ الموفق » .
* وقال ابن تيمية : « ما دخل الشام – بعد الأوزاعى – أفقه من الشيخ الموفق » .
* وقال المنذرى : « الفقيه الإمام ، حدث بدمشق ، أفتى ودَرَّسَ ، وصَنَّفَ فى الفقه وغيره مصنفات مختصرة ومطولة » .
* وقال الذهبى : « أحد الأئمة الأعلام ، صاحب التصانيف »(*) .
* وقال ابن كثير : « شيخ الإسلام ، إمام عالم ، بارع ، لم يكن فى عصره ولا قبل دهره بمدة أفقه منه » .

□ تصـــانيفه :

وقد كثرت تصانيف الإمام الموفق جداً ولاقت القبول الحسن من العلماء : قال ابن رجب : « صنَّف الشيخ الموفق – رحمه الله – التصانيف الكثيرة الحسنة فى المذهب ، فروعاً وأصولا وفى الحديث واللغة والزهد والرقائق ، وتصانيفه فى أصول

(*) أشار الحافظ الذهبى فى تاريخ الإسلام ترجمة (٦٦٩–الرسالة) فى الطبقة الثانية والستون إلى أن الضياء المقدسى عمل له ترجمة فى جزأين وقد نقل منها فى الترجمة كثير جدًا من سيرته فلتراجع .

الدين فى غاية الحسن ، أكثرها على طريقة المحدثين مشحونة بالأحاديث والآثار وبالأسانيد ، كما هى طريقة الإمام أحمد وأئمة الحديث » أهـ .

ومن هذه التصانيف :

فى الفقه : المغنى ، والكافى ، والعدَّة ، والعمدة ، والمقنع ...

وفى العقيدة : لمعة الاعتقاد ، القدر ، ذم التأويل ....

وفى أصول الفقه : روضة الناظر ...

وفى الرقائق والزهد : الرقة والبكاء ، والتوابين .

وفى الحديث : مختصر علل الحديث للخلال ....

إلى غير ذلك من المصنفات وهى ما بين مطبوع ومخطوط ، نسأل الله أن ترى النور قريباً .

* * *

للتوسع فى ترجمة ابن قدامة راجع :

١ - التكملة فى وفيات النقلة للمنذرى (١٠٧/٣) .
٢ - تاريخ الإسـلام للذهبى الطبقة الثانية والستون مؤسسة الرسالة ترجمة رقم (٦٦٩)
٣ - العبر فى خبر من غبر للذهبى (٧٩/٥-٨٠) .
٤ - سير أعلام النبلاء للذهبى (١٦٥/٢٢-١٧٣) .
٥ - البداية والنهاية لابن كثير (٩٩/١٣-١٠٠) .
٦ - ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (١٣٣/٢-١٤٩) .
٧ - شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى (٨٨/٥-٩٢) .
٨ - معجم البلدان لياقوت الحموى (١٥٩/٢) .
٩ - فوات الوفيات لابن شاكر الكتبى (١٥٨/٢-١٥٩) .
١٠ - فهرس مخطوطات الظاهرية (قسم الحديث) للشيخ الألبانى .
١١ - مقدمة تحقيق كتاب إثبات صفة العلو لابن قدامة بقلم بدر البدر .

فصـــل

في ذكر تصانيف ابن قدامة في الاعتقاد

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله فى كتاب الذيل على طبقات الحنابلة (١٣٩/٢) : « صنف الشيخ الموفق رحمه الله التصانيف الكثيرة الحسنة فى المذهب ، فروعاً وأصولاً . وفى الحديث ، واللغة ، والزهد ، والرقائق .

وتصانيفه فى أصول الدين فى غاية الحسن ، أكثرها على طريقة أئمة المحدثين مشحونة بالأحاديث والآثار ، وبالأسانيد ، كما هى طريقة الإمام أحمد وأئمة الحديث . ولم يكن يرى الخوض مع المتكلمين فى دقائق الكلام ، ولو كان بالرد عليهم . وهذه طريقة أحمد والمتقدمين . وكان كثير المتابعة للمنقول فى باب الأصول وغيره ، لايرىٰ إطلاق مالم يؤثر من العبارات ، ويأمر بالإقرار والإمرار لما جاء فى الكتاب والسنة من الصفات ، من غير تفسير ولا تكييف ، ولا تمثيل ولا تحريف ، ولا تأويل ولا تعطيل .

فمن تصانيفه فى أصول الدين :

١ - البرهان فى مسألة القرآن . جزء[١] .

٢ - جواب مسألة وردت من صرخد[٢] فى القرآن . جزء .

٣ - الاعتقاد . جزء[٣] .

---

(١) نشر فى مجلة البحوث الإسلامية العدد (١٩) والتى تصدر عن دار الإفتاء بالرياض . بتحقيق د. سعود بن عبدالله الفنيسان .

(٢) صرخد : قرية من قرى الشام بقرب حوران ، وقد ذكر هذا الكتاب أيضاً ابن العماد .

(٣) وهو الكتاب الذى نحن بصدد التعليق على شرحه . وقد ذكره بهذا الاسم أيضاً ابن شاكر والذهبى وابن العماد .

٤ – مسألة العلو . جزآن[١] .

٥ – ذم التأويل . جزء[٢] .

٦ – كتاب القدر . جزآن[٣] .

٧ – فضائل الصحابة . جزآن ، وأظنه : « منهاج القاصدين فى فضل الخلفاء الراشدين »[٤] .

٨ – رسالة إلى الشيخ فخر الدين بن تيمية فى تخليد أهل البدع فى النار[٥] .

٩ – مسألة فى تحريم النظر فى كتب أهل الكلام . » ا.هـ .

ثم قال بعد أن ذكر بقية تصانيفه : « وانتفع بتصانيفه المسلمون عموماً ، وأهل المذهب خصوصاً . وانتشرت واشتهرت بحسن قصده ، وإخلاصه فى تصنيفها » أ.هـ [٦]

* * *

---

(١) طبع سنة ١٣٢٢هـ فى مطبعة مجلة المنار بمصر ، وأعيد طبعه محققاً على عدة نسخ خطية بالدار السلفية بالكويت بتحقيق بدر البدر . وقد نقل الحافظ ابن القيم منه فقرة فى كتابه اجتماع الجيوش ص (٨٧) .

(٢) طبع ضمن مجموعة اعتقاد السلف تحقيق النشار والطالبى . طبعة منشأة المعارف وكذا بتحقيق بدر البدر .

(٣) ذكره الذهبى أيضاً وكذا ابن شاكر .

(٤) ذكره الذهبى وابن العماد .

(٥) ذكرها ابن العماد .

(٦) ومن تصانيفه أيضاً فى باب الاعتقاد :

أ – حكاية المناظرة فى القرآن أو المناظرة لأهل البدع فى القرآن .
طبع بتحقيق الأخ عبدالله بن يوسف كرَّمه الله .

ب – ذم ماعليه مدَّعو التَّصوف . طبع ضمن مجموعة من دفائن الكنوز بتحقيق الشيخ محمد حامد الفقى رحمه الله .

جـ – الصِّراط المستقيم فى بيان الحرف القديم . قال محقق كتاب البرهان فى بيان القرآن لابن قدامة : «جزء لم يطبع وهو موجود عندى أرجو أن أُوَفَّق فى إخراجه إن بقى فى العمر بقية » .

فصـــل

نبذة عن الشيخ العثيمين وتصانيفه في الاعتقاد

□ **نســبه** : هو أبوعبدالله محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين الوهيبى التميمى(*).

□ **مولده** : ولد فى مدينة عنيزة فى ٢٧ رمضان المبارك عام ١٣٤٧هـ .

□ **نشأته** : قرأ القرآن الكريم على جده من جهة أمه عبدالرحمن بن سليمان آل دامغ رحمه الله فحفظه ثم اتجه إلى طلب العلم فتعلم الخط والحساب وبعض فنون الآداب . وكان الشيخ عبدالرحمن السعدى رحمه الله قد أقام اثنين من طلبة العلم عنده ليدرسا الطلبة الصغار أحدهما الشيخ على الصالحى والثانى الشيخ محمد بن عبدالعزيز المطوع رحمه الله . قرأ عليه مختصر العقيدة الواسطية للشيخ عبدالرحمن السعدى ومنهاج السالكين فى الفقه للشيخ عبدالرحمن أيضاً والأجرومية والألفية . وقرأ على الشيخ عبدالرحمن بن على بن عودان فى الفرائض والفقه .

● وقرأ على الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدى الذى يعتبر شيخه الأول حيث لازمه وقرأ عليه التوحيد والتفسير والحديث والفقه وأصول الفقه والفرائض ومصطلح الحديث والنحو والصرف .

● وقرأ على سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز حيث يعتبر شيخه الثانى فابتدأ عليه قراءة صحيح البخارى وبعض رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية وبعض الكتب الفقهية .

□ **تقدمــه فى العلم وجهوده فى مجـال الدعـوة :**

● وفى عام ١٣٧١هـ جلس للتدريس فى الجامع ، ولما فتحت المعاهد العلمية فى الرياض التحق بها عام ١٣٧٢هـ وبعد سنتين تخرج وعين مدرساً فى معهد عنيزة

(*) راجع مقدمة المجموع الثمين من فتاوى فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين « الجزء الأول » فتاوى العقيدة ، نقلاً من كتاب علماؤنا ، إعداد فهد البدرانى وفهد البراك ص(٤٢) بتصرف وزيادات .

العلمى مع مواصلة الدراسة انتساباً فى كلية الشريعة مع مواصلة طلب العلم على يد الشيخ عبدالرحمن السعدى رحمه الله .

● ولما توفى فضيلة الشيخ عبدالرحمن السعدى رحمه الله تولى إمامة الجامع الكبير بعنيزة ، والتدريس فى مكتبة عنيزة الوطنية بالإضافة إلى التدريس فى المعهد العلمى ثم انتقل إلى التدريس فى كليتى الشريعة وأصول الدين بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم حتى الآن . بالإضافة إلى عضوية هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية .

● وللشيخ العثيمين نشاط كبير فى الدعوة إلى الله عز وجل وتبصير المسلمين فقد عرفه الناس من خلال دروسه النافعة وخطبه الرائعة بالمسجد الكبير بعنيزة بالقصيم ، وفى دروسه بالمسجد الحرام أيام الاعتكاف فى شهر رمضان من كل عام ، ومن خلال فتاويه الرَّصينة لجماهير المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها فى موسم الحج .. فى الصحف والمجلات .. فى برنامج نور على الدرب بالإذاعة .. فى مراسلاته مع كثير من طلبة العلم والقُرَّاء ... إلخ والتى تحمل رداً شافياً كافياً على الأسئلة التى ترد إليه يومياً .

□ تصانيفه فى الاعتقاد :

وللشيخ محمد الصالح العثيمين عدد كبير من المؤلفات القيمة التى انتفع بها الناس فى العقيدة وفى الفقه وأصوله وفى الوعظ والإرشاد والدعوة . والتى يدرس عدد كبير منها بوزارة المعارف بالمملكة العربية السعودية .

ونذكر هنا منها ما يتعلق بالعقيدة :

١ - فتح رب البرية بتلخيص الحموية وهو أول كتاب طبع له . وقد فرغ منه فى ٨ ذى القعدة سنة ١٣٨٠هـ وهو مطبوع ضمن مجموع رسائل فى العقيدة طبعة مكتبة المعارف بالرياض .

٢ – نُبَذ فى العقيدة الإسلامية : شرح فيه أركان الإيمان الست بطريقة مبسطة وتعتبر هذه الرسالة مقزر السنة الثالثة الثانوية فى المعاهد العلمية فى المملكة فى التوحيد . وهو مطبوع ضمن المجموع السابق بمكتبة المعارف بالرياض .

٣ – القواعد المثلى فى صفات الله وأسمائه الحسنى : وهو من أروع ماكتب الشيخ العثيمين وقد قمنا بتخريجه والتعليق عليه وقد طبع والحمد لله(*) .

٤ – شرح لمعة الاعتقاد الهادى إلى سبيل الرشاد لابن قدامة : وهو هذا الكتاب وهو مقرر السنة الأولى الثانوية فى التوحيد فى المعاهد العلمية .

٥ – عقيدة أهل السنة والجماعة : ذكر فيها ملخص ومجمل اعتقاد أهل السنة وهو من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

٦ – شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية : وهى مقرر السنة الثانية الثانوية فى المعاهد العلمية فى التوحيد . مطبوع متداول .

٧ – تفسير آية الكرسى . ويعتبر هذا التفسير فصلاً رائعاً من كلام الشيخ فى الأسماء والصفات . مطبوع متداول .

٨ – رسالة فى الوصول إلى القمر . طبع ضمن مجموع رسائل فى العقيدة .

٩ – بالإضافة إلى فتاوى الشيخ فى العقيدة والتى طبعت أكثر من مرة ضمن كتب الفتاوى له وفى المجلات والصحف .

* * *

(*) من مطبوعات مكتبة السُّنة بالقاهرة ١٤١١هـ .

شرح

لمعة الاعتقاد

الهادي إلى سبيل الرشاد

للإمام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي

(٥٤١ - ٦٢٠هـ)

تأليف

محمد بن صالح العثيمين

حققه، وخرج أحاديثه

أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشارح (ابن عثيمين)

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعـد : فهذا تعليق مختصر على كتاب (لمعة الاعتقاد) الذى ألفه أبومحمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسى المولود فى شعبان سنة ٥٤١هـ بقرية من أعمال نابلس المتوفى يوم عيدالفطر سنة ٦٢٠هـ بدمشق رحمه الله .

وهذا الكتاب جمع فيه مؤلفه زبدة العقيدة ومن ثم قررت رئاسة المعاهد العلمية دراسته فى مطلع القسم الثانوى فى المعاهد فى السنة الأولى منه ليكون ركيزة يعتمد عليها فى هذه المرحلة . ونظراً لأهمية الكتاب موضوعاً ومنهجاً وعدم وجود شرح له فقد عقدت العزم مستعيناً بالله مستلهماً منه الصواب فى القصد والعمل على أن أضع عليه كلمات يسيرة تكشف غوامضه وتُبَيِّن مَوَارده وتُبرِز فوائده . والله أرجو أن لايكلنى إلى نفسى طرفة عين وأن يمدنى بروح من عنده وتوفيق وأن يجعل عملى مباركاً ونافعاً إنه جواد كريم .

محمـد الصالح العثيمين

تحريراً فى ١٣٩٢/١/١٠هـ

قواعد هامة في الأسماء والصفات

وقبل الدخول فى صميم الكتاب أحب أن أقدم قواعد هامة فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته(*) .

القاعـدة الأولـى :

فى الواجب نحو نصوص الكتاب والسنة فى أسماء الله وصفاته :

الواجب فى نصوص الكتاب والسنة إبقاء دلالتها على ظاهرها من غير تغيير لأن الله أنزل القرآن بلسان عربى مبين والنبى ﷺ يتكلم باللسان العربى فوجب إبقاء دلالة كلام الله وكلام رسوله على ما هى عليه فى ذلك اللسان ولأن تغييرها عن ظاهرها قول على الله بلا علم وهو حرام لقوله تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[الأعراف : ٣٣]

مثال ذلك قوله تعالى :

﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾

[المائدة : ٦٤]

فإن ظاهر الآية أن لله يدين حقيقتين فيجب إثبات ذلك له فإذا قال قائل المراد بهما القوة قلنا له هذا صرف للكلام عن ظاهره فلا يجوز القول به لأنه قول على الله بلا علم .

* * *

(*) للشيخ محمد الصَّالح العثيمين كتاب رائع فى الأسماء والصفات ذكر فيه عدداً من القواعد الهامة فى هذا الباب وقد قمنا بتحقيقه أيضاً ويُسمَى: « القَواعد المُثلى فى صِفَات الله وأسْمَائه الحُسْنى » فهو جدير بالمُطَالعة والعناية .

القاعــدة الثانيــة :

فى أســــماء الله

وتحت هذه القاعدة فــروع :

● الفرع الأول : أسماء الله كلها حسنى :

أى بالغة فى الحسن غايته ؛ لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه قال الله تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾

[الأعراف : ١٨٠]

مثال ذلك : الرحمن فهو اسم من أسماء الله تعالى ، دال على صفة عظيمة هى الرحمة الواسعة . ومن ثم نعرف أنه ليس من أسماء الله : الدهر : لأنه لايتضمن معنى يبلغ غاية الحسن فأما قوله ﷺ : «لَاتَسُبُّواْ الدَّهْرَ فإِنَّ ٱللهَ هُوَ الدَّهر»[1] فمعناه

---

(١) مسلم : كتاب الألفاظ من الأدب : باب النهى عن سب الدهر (٢٢٤٦) (٥) من حديث أبى هريرة – رضى الله عنه – وقال الحافظ فى الفتح (٥٦٥/١٠) : « وأخرجه أحمد من وجه آخر عن أبى هريرة بلفظ : « لاتَسُبُّوا الدَّهر فإِنَّ الله قال : أَنَا الدَّهر ، الأَيَّام واللَّيالى لى أُجَدِّدُها وأُبْليها وآتى بِمُلُوك بعد مُلُوك » وسنده صحيح » أ.هـ .

فائــــدة :

قال العلامة ابن القيم فى زاد المعاد (٣٥٥/٢) : « فساب الدهر دائر بين أمرين لابد له من أحدهما : إما سبه لله ، أو الشرك به ؛ فإنه إذا اعتقد أن الله وحده هو الذى فعل ذلك وهو يسب من فعله فقد سب الله » أ.هـ .

مالك الدهر المتصرف فيه بدليل قوله فى الرواية الثانية عن الله تعالى : « بِيَدِى الأَمْر أُقَلِّب اللَّيْلَ وَالنَّهار »(٢) .

● **الفرع الثانى : أسماء الله غير محصورة بعدد معين :**

لقوله ﷺ فى الحديث المشهور : « أَسْأَلُكَ اللَّهم بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفسَكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِى كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ أَوْ آسْتَأْثَرتَ بِهِ فِى عِلْمِ ٱلْغَيْبِ عِنْدَكَ »(٣) ، وما استأثر الله به فى علم الغيب عنده لايمكن حصره ولا الإحاطة به .

والجمع بين هذا وبين قوله فى الحديث الصحيح : « إنَّ لله تِسْعَةً وتِسْعِين اسْمَاً مَنْ أَحْصَاها دَخَل الجَنَّة »(٤) : إن معنى هذا الحديث إن من أسماء الله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة ، وليس المراد حصر أسمائه تعالى بهذا العدد ، ونظير هذا أن تقول : عندى مائة درهم أعددتها للصدقة ، فلا ينافى أن يكون عندك دراهم أخرى أعددتها لغير الصدقة .

---

(٢) أخرجه البخارى : كتاب التوحيد : باب قوله تعالى ﴿ يُرِيدُون أَنْ يَبَدِّلُوا كَلَام الله ﴾ (٧٤٩١) ومسلم : كتاب الألفاظ من الأدب : باب النهى عن سب الدهر (٢٢٤٦)
(٢) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

(٣) **حديث صحيح** : جزء من حديث ابن مسعود رضى الله عنه ، الذى رواه أحمد (٣٩٤/١ ، ٤٥٢) وابن حبان (٢٣٧٢ — موارد) والحاكم (٥١٩/١) ، وصححه الحافظ ابن القيم فى شفاء العليل ص (٢٧٤) ، واستفاض فى بيان أهميته وفوائده فى كتابه الفوائد ص (٢٤ : ٢٩) ، وصححه الشيخ أحمد شاكر فى تعليقه على المسند (٣٧٢١) وكذا الألبانى فى الصحيحة (١٩٩) ، وشعيب الأرناؤوط فى تخريج زاد المعاد (١٩٨/٤) .

(٤) أخرجه البخارى : كتاب الدعوات : باب لله مائة اسم غير واحد (٦٤١٠)
ومسلم : كتاب الذكر والدعاء : باب فى أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها (٢٦٧٧)
(٦) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

● **الفرع الثالث : أسماء الله لا تثبت بالعقل وإنما تثبت بالشرع :**

فهى توقيفية يتوقف اثباتها على ماجاء عن الشرع فلا يُزاد فيها ولا يُنقص لأن العقل لا يمكنه إدراك مايستحقه تعالى من الأسماء فوجب الوقوف فى ذلك على الشرع ولأن تسميته بما لم يسم به نفسه أو إنكار ما سمى به نفسه جناية فى حقه تعالى فوجب سلوك الأدب فى ذلك .

● **الفرع الرابع : كل اسم من أسماء الله فإنه يدل على ذات الله وعلى الصفة التى تضمنها وعلى الأثر المترتب عليه إن كان متعديا :**

ولايتم الإيمان بالإسم إلا بإثبات ذلك كله .

* **مثال ذلك فى غير المتعدى** : (العظيم) فلا يتم الإيمان به حتى تؤمن باثباته اسماً من أسماء الله دالًا على ذاته تعالى وعلى ماتضمنه من الصفة وهى العظمة .

* **ومثال ذلك فى المتعدى** : (الرحمن) فلا يتم الإيمان به حتى تؤمن باثباته اسماً من أسماء الله دالًا على ذاته تعالى وعلى ماتضمنه من الصفة وهى الرحمة وعلى ما ترتب عليه من أثر وهو إنه يرحم من يشاء .

* * *

القاعـدة الثالثة :

فى صفـات الله

وتحتها فروع أيضاً :

● **الفرع الأول : صفات الله كلها عليا صفات كمال ومدح ليس فيها نقص بوجه من الوجوه :**

كالحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والحكمة والرحمة والعلو وغير ذلك لقوله تعالى :

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل : ٦٠]

ولأن الرب كامل فوجب كمال صفاته .

* وإذا كانت الصفة نقصاً لا كمال فيها فهى ممتنعة فى حقه كالموت والجهل والعجز والصمم والعمى ونحو ذلك لأنه سبحانه عاقب الواصفين له بالنقص ونزه نفسه عما يصفونه به من النقائص ولأن الرب لايمكن أن يكون ناقصاً لمنافاة النقص للربوبية .

* وإذا كانت الصفة كمالاً من وجه ونقصاً من وجه لم تكن ثابتة لله ولا ممتنعة عليه على سبيل الإطلاق بل لابد من التفصيل فتثبت لله فى الحال التى تكون كمالاً وتمتنع عليه فى الحال التى تكون نقصاً كالمكر والكيد والخداع ونحوها فهذه الصفات تكون كمالاً إذا كانت فى مقابلة مثلها لأنها تدل على أن فاعلها ليس بعاجز عن مقابلة عدوه بمثل فعله وتكون نقصاً فى غير هذه الحال فتثبت لله فى الحال الأولى دون الثانية قال الله تعالى :

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال : ٣٠]

﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾

[الطارق : ١٥ ، ١٦]

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾

[النساء : ١٤٢]

• إلى غير ذلك .

فإذا قيل هل يوصف الله بالمكر مثلاً ؟ فلا تقل : نعم ، ولا تقل : لا ، ولكن قل : هو ماكر بمن يستحق ذلك والله أعلم .

● **الفرع الثانى : صفات الله تنقسم إلى قسمين : ثبوتية وسلبية :**

* **فالثبوتية:** ماأثبتها الله لنفسه كالحياة والعلم والقدرة . ويجب إثباتها لله على الوجه اللائق به لأن الله أثبتها لنفسه وهو أعلم بصفاته .

* **والسلبية:** هى التى نفاها الله عن نفسه كالظلم فيجب نفيها عن الله لأن الله نفاها عن نفسه لكن يجب اعتقاد ثبوت ضدها لله على الوجه الأكمل لأن النفى لا يكون كمالًا حتى يتضمن ثبوتاً .

مثال ذلك : قوله تعالى :

﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾

[الكهف : ٤٩]

فيجب نفى الظلم عن الله مع اعتقاد ثبوت العدل لله على الوجه الأكمل .

●• **الفرع الثالث : الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين ذاتية وفعلية :**

* **فالذاتية:** هى التى لم يزل ولا يزال متصفاً بها كالسمع والبصر .

* **والفعلية:** هى التى تتعلق بمشيئته إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها كالاستواء على العرش والمجيء .

وربما تكون الصفة **ذاتية فعلية** باعتبارين كالكلام فإنه باعتبار أصل الصفة صفة ذاتية لأن الله لم يزل ولا يزال متكلماً وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية لأن الكلام متعلق بمشيئته يتكلم بما شاء متى شاء .

- **الفرع الرابع : كل صفة من صفات الله فإنه يتوجه عليها ثلاثة أسئلة :**

السؤال الأول : هل هى حقيقية ولماذا ؟

السؤال الثانى : هل يجوز تكييفها ولماذا ؟

السؤال الثالث : هل تماثل صفات المخلوقين ولماذا ؟

فجواب السؤال الأول : نعم حقيقية لأن الأصل فى الكلام الحقيقة فلا يُعْدَلُ عنها إلا بدليل صحيح يمنع منها .

وجواب الثانى : لايجوز تكييفها لقوله تعالى :

﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾

[طه : ١١٠]

ولأن العقل لايمكنه إدراك كيفية صفات الله .

وجواب الثالث : لا تماثل صفات المخلوقين لقوله تعالى :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾

[الشورى : ١١]

ولأن الله مستحق للكمال الذى لا غاية فوقه فلا يمكن أن يماثل المخلوق لأنه ناقص .

والفرق بين التمثيل والتكييف أن التمثيل ذكر كيفية الصفة مقيدة بمماثل والتكييف ذكر كيفية الصفة غير مقيدة بمماثل .

* **مثال التمثيل** : أن يقول قائل : يد الله كيد الإنسان .

* **ومثال التكييف** : أن يتخيل ليد الله كيفية معينة لا مثيل لها فى أيدى المخلوقين فلا يجوز هذا التخيل .

القاعدة الرابعة : فيما نرد به على المعطلة :

. المعطلة هم الذين ينكرون شيئاً من أسماء الله أو صفاته ويحرفون النصوص عن ظاهرها ويقال لهم المؤولة والقاعدة العامة فيما نرد به عليهم أن نقول إن قولهم : خلاف ظاهر النصوص وخلاف طريقة السلف وليس عليه دليل صحيح وربما يكون فى بعض الصفات وجه رابع أو أكثر .

* * *

مقدمـــة صاحب المتن (ابن قدامـة)

قال الشيخ الإمام العلامة موفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسى عليه رحمة الله :

بسم الله الرحمن الرحيم

[١] الحمد لله المحمود بكل لسان ، المعبود فى كل زمان ، الذى لايخلو من علمه مكان ، ولايشغله شأن عن شأن ، جل عن الأشباه والأنداد ، وتنزه عن الصاحبة والأولاد ، ونفذ حكمه فى جميع العباد ، لاتمثله العقول بالتفكير ، ولا تتوهمه القلوب بالتصوير ،

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾

[الشورى : ١١]

له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾

[طه : ٥-٧]

أحاط بكل شيء علماً ، وقهر كل مخلوقٍ عزةً وحكماً ، ووسع كل شيءٍ رحمة وعِلْمًا

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه : ١١٠]

موصوف بما وصف به نفسه فى كتابه العظيم ، وعلى لسان نبيه الكريم .

..... الشـــرح .....

اللُّمعة : تطلق فى اللغة على معان منها : البُلْغة من العيش وهذا المعنى أنسب معنى لموضوع هذا الكتاب . فمعنى **لمعة الاعتقاد** هنا : البُلْغة من الاعتقاد الصحيح المطابق لمذهب السلف رضوان الله عليهم .

والاعتقاد : الحكم الذهنى الجازم فإن طابق الواقع فصحيح وإلا ففاسد .

ما تضمنته خطبة الكتاب :

تضمنت خطبة المؤلف فى هذا الكتاب ما يأتى :

١ – البداءة بالبسملة اقتداء بكتاب الله العظيم واتباعاً لسنة رسول الله ﷺ . ومعنى : بسم الله الرحمن الرحيم : أى أفعل الشيء مستعيناً ومتبركاً بكل اسم من أسماء الله تعالى الموصوف بالرحمة الواسعة ومعنى ﴿ الله ﴾ المألوه أى المعبود حباً وتعظيماً وتألهاً وشوقاً و﴿ الرحمن ﴾ ذو الرحمة الواسعة و﴿ الرحيم ﴾ الموصل رحمته من شاء من خلقه فالفرق بين الرحمن والرحيم أن الأول باعتبار كون الرحمة وصفاً له والثانى باعتبارها فعلاً له يوصلها من شاء من خلقه .

٢ – الثناء على الله بالحمد والحمد ذكر أوصاف المحمود الكاملة وأفعاله الحميدة مع المحبة له والتعظيم .

٣ – أن الله محمود بكل لسان ومعبود بكل مكان أى مستحق وجائز أن يحمد بكل لغة ويعبد بكل بقعة .

٤ – سعة علم الله بكونه لايخلو من علمه مكان وكمال قدرته واحاطته حيث لايلهيه أمر عن أمر .

٥ – عظمته وكبرياؤه وترفعه عن كل شبيه وند مماثل لكمال صفاته من جميع الوجوه .

٦ – تنزهه وتقدسه عن كل زوجة وولد وذلك لكمال غناه .

٧ – تمام إرادته وسلطانه بنفوذ قضائه فى جميع العباد فلا يمنعه قوة ملك ولاكثرة عدد ومال .

٨ – عظمة الله فوق ما يتصور بحيث لاتستطيع العقول له تمثيلاً ولا تتوهم القلوب له صورة ؛ لأن الله :

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾

[الشورى : ١١]

٩ – اختصاص الله بالأسماء الحسنى والصفات العلى .

١٠ ـ استواء الله على عرشه وهو علوه واستقراره عليه على الوجه اللائق به .

١١ ـ عموم ملكه للسموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى .

١٢ ـ سعة علمه وقوة قهره وحكمه وأن الخلق لا يحيطون به علماً لقصور إدراكهم عما يستحقه الرب العظيم من صفات الكمال والعظمة .

* * *

التسليم والقبول لآيات وأحاديث الصفات

[٢] وكل ماجاء فى القرآن ، أو صحَّ عن المصطفى عليه السلام من صفات الرحمن وجب الإيمان به وتلقيه بالتَّسليم والقبول ، وترك التعرض له بالرَّد والتَّأويل والتَّشبيه والتمثيل ، وما أشكل من ذلك وجب إثباته لفظاً(٥) وترك التَّعرض لمعناهُ ، ونردُّ علمه إلى قائله ، ونجعل عهدته على ناقله ، اتباعاً لطريق الرَّاسخين فى العلم الذين أثنى الله عليهم فى كتابه المبين بقوله سبحانه وتعالى :

---

(٥) **تعقيـب :**

قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ فى قول صاحب اللمعة : « **وجب الإيمان به لفظاً** » وأما كلام صاحب اللمعة فهذه الكلمة مما لُوحِظَ فى هذه العقيدة ، وقد لوحظ فيها عدة كلمات أخذت على المصنف ؛ إذ لايخفى أن مذهب أهل السنة والجماعة هو الإيمان بما ثبت فى الكتاب والسنة من أسماء الله وصفاته لفظاً ومعنى ، واعتقاد أن هذه الأسماء والصفات على الحقيقة لا على المجاز ، وأن لها معانى حقيقية تليق بجلال الله وعظمته . وأدلة ذلك أكثر من أن تحصر ، ومعانى هذه الأسماء ظاهرة معروفة من القرآن كغيرها لا لبس فيها ولا إشكال ولا غموض فقد أخذ أصحاب رسول الله ﷺ عنه القرآن ونقلوا عنه الأحاديث لم يستشكلوا شيئاً من معانى هذه الآيات والأحاديث لأنها واضحة صريحة ، وكذلك مَنْ بعدهم من القرون الفاضلة ، كما يروى عن مالك لما سئل عن قوله سبحانه : ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] قال : « الاستواء معلوم ، والكيف مجهول والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة » ، وكذلك يروى معنى ذلك عن ربيعة شيخ مالك ، ويروى عن أم سلمة مرفوعاً وموقوفاً .

أما كُنْه الصفة وكيفيتها : فلا يعلمه إلا الله سبحانه ؛ إذ الكلام فى الصفة فرع عن الكلام فى الموصوف ، فكما لايعلم كيف هو إلا هو فكذلك صفاته وهو معنى قول مالك : « والكيف مجهول » .

أما ماذكره فى « اللمعة » فإنه ينطبق على مذهب المفوضة ، وهو من شر المذاهب وأخبثها ، والمصنف رحمه الله إمام فى السنة ، وهو أبعد الناس عن مذهب المفوضة وغيرهم من المبتدعة ، والله أعلم . وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم » أ.هـ عن مكتب الإفتاء (٣٢٨) فى ١٣٨٥/٧/٢٨هـ نقلاً عن فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن ابراهيم جمع وترتيب محمد ابن عبدالرحمن بن قاسم . =

﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾
[آل عمران : ٧]

وقال فى ذم مبتغى التأويل لمتشابه تنزيله :

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾
[آل عمران : ٧]

فجعل ابتغاء التأويل علامة على الزيغ ، وقرنه بابتغاء الفتنة فى الذم ، ثم حجبهم عما أمَّلوه ، وقطع أطماعهم عما قصدوه ، بقوله سبحانه :

﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٧]

..... الشـــرح .....

تقسيم نصوص الصفات وطريقة الناس فيها :

تنقسم نصوص الكتاب والسنة الواردة فى الصفات إلى قسمين : واضح جلى ومشكل خفى ؛ فالواضح ما اتضح لفظه ومعناه فيجب الإيمان به لفظاً واثبات معناه حقاً بلا رد ولا تأويل ، ولا تشبيه ولا تمثيل لأن الشرع ورد به فوجب الإيمان به وتلقيه بالقبول والتسليم .

= **قلت** : ومن رجع إلى مصنفات ابن قدامة رحمه الله علم يقيناً أنه بعيد كل البعد عن مذهب المفوضة وأهل التأويل لاسيما كتابه (ذم التأويل) الذى رد فيه على أهل التأويل ومن حذا حذوهم من المفوضة وأثبت فيه مذهب أهل السنة من الإيمان بما ثبت فى الكتاب والسنة من أسماء الله وصفاته لفظاً ومعنى .

فما ورد عن ابن قدامة هنا بقوله « **وجب الإيمان به لفظاً** » من المجمل المتشابه الذى فُسِّر صريحاً واضحاً بيناً فى مصنفاته الأخرى فيجب الرد إلى المحكم من كلامه عليه رحمه الله . فكل ما ورد عنه مما يحتمل ويحتمل فهو مردود إلى المحكم من كلامه فى سائر تصانيفه والله أعلى وأعلم .

وأما المشكل فهو ما لم يتضح معناه لإجمال فى دلالته أو قصر فى فهم قارئه فيجب - اثبات لفظه لورود الشرع به والتوقف فى معناه وترك التعرض له لأنه مشكل لايمكن الحكم عليه فنرد علمه إلى الله ورسوله .

وقد انقسمت طرق الناس فى هذا المشكل إلى طريقين :

الطريقة الأولى : طريقة الراسخين فى العلم الذين آمنوا بالمحكم والمتشابه وقالوا ﴿ كُل مِنْ عِنْدِ رَبِّنا ﴾ وتركوا التعرض لما لايمكنهم الوصول إلى معرفته والاحاطة به تعظيما لله ورسوله وتأدباً مع النصوص الشرعية وهم الذين أثنى الله عليهم بقوله :

﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران : ٧]

الطريقة الثانية : طريقة الزائغين الذين اتبعوا المتشابه طلباً للفتنة وصداً للناس عن دينهم وعن طريقة السلف الصالح فحاولوا تأويل هذا المتشابه إلى ما يريدون لا إلى ما يريده الله ورسوله ، وضربوا نصوص الكتاب والسنة بعضها ببعض وحاولوا الطعن فى دلالتها بالمعارضة والنقص ليشككوا المسلمين فى دلالتها ويعموهم عن هدايتها وهؤلاء هم الذين ذمهم الله بقوله :

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾

[آل عمران : ٧]

تحرير القول فى النصوص من حيث الوضوح والإشكال :

إن الوضوح والإشكال فى النصوص الشرعية أمر نسبى يختلف به الناس بحسب العلم والفهم فقد يكون مشكلاً عند شخص ما هو واضح عند شخص آخر والواجب عند الإشكال اتباع ما سبق من ترك التعرض له والتخبط فى معناه أما من حيث واقع النصوص الشرعية فليس فيها بحمد الله ما هو مشكل لا يعرف أحد من الناس معناه فيما يهمهم من أمر دينهم ودنياهم لأن الله وصف القرآن بأنه نور مبين وبيان للناس وفرقان وأنه أنزله تبياناً لكل شيء وهدىً ورحمة ؛ وهذا يقتضى أن لا يكون فى النصوص ما هو مشكل بحسب الواقع بحيث لايمكن أحداً من الأمة معرفة معناه .

معنى الرد والتأويل والتشبيه والتمثيل وحكم كل منها :

الرد : التكذيب والإنكار مثل أن يقول قائل : ليس لله يداً لا حقيقة ولا مجازاً وهو كفر لأنه تكذيب لله ورسوله .

والتأويل : التفسير والمراد به هنا تفسير نصوص الصفات بغير ما أراد الله بها ورسوله وبخلاف ما فسرها به الصحابة والتابعون لهم بإحسان .

وحكم التأويل على ثلاثة أقسام :

الأول : أن يكون صادراً عن اجتهاد وحسن نية بحيث إذا تبين له الحق رجع عن تأويله فهذا معفو عنه ؛ لأن هذا منتهى وسعه وقد قال الله تعالى :

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾

[البقرة :٢٨٦]

الثانى : أن يكون صادراً عن هوى وتعصب وله وجه فى اللغة العربية فهو فسق وليس بكفر إلا أن يتضمن نقصاً أو عيباً فى حق الله فيكون كفراً .

القسم الثالث : أن يكون صادراً عن هوى وتعصب وليس له وجه فى اللغة العربية فهذا كفر لأن حقيقته التكذيب حيث لا وجه له .

والتشبيه : إثبات مشابه لله فيما يختص به من حقوق أو صفات وهو كفر لأنه من الشرك بالله ويتضمن النقص فى حق الله حيث شبهه بالمخلوق الناقص .

والتمثيل : اثبات مماثل لله فيما يختص به من حقوق أو صفات وهو كفر لأنه من الشرك بالله وتكذيب لقوله تعالى :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى : ١١]

ويتضمن النقص فى حق الله حيث مَثَّله بالمخلوق الناقص .

والفرق بين التمثيل والتشبيه أن التمثيل يقتضى المساواة من كل وجه بخلاف التشبيه .

* * *

كلام أئمة السلف في الصفات

[٣] قال الإمام أبوعبدالله أحمد بن محمد بن حنبل رضى الله عنه فى قول النبى ﷺ : « إنَّ ٱللهَ يَنْزِل إلىٰ سَمَاء ٱلدُّنيا » و« إنَّ ٱللهَ يُرىٰ فى القِيامَة » وما أشبه هذه الأحاديث[٦] : نؤمن بها ، ونصدق بها ، لاكيف ، ولا معنى ، ولا نرد شيئاً منها ، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق ، ولا نرد على رسول الله ﷺ ولا نصف ٱلله بأكثر مما وصف به نفسه بلا حد ولا غاية :

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾

[الشورى : ١١]

ونقول كما قال ، ونصفه بما وصف به نفسه لا نتعدى ذلك ، ولا يبلغه وصف الواصفين ، نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه ، ولا نزيل عنه صفةً من صفاته لشناعةٍ شنعت ، ولا نتعدَّى القرآن والحديث ، ولا نعلم كيف كنه ذلك إلا بتصديق الرسول ﷺ وتثبيت القرآن »[٧] .

---

(٦) يأتى تخريج هذه الأحاديث ص (٥٨ ، ٨٦) .

(٧) راجع : الصواعق المنزلة لابن القيم (١/٢٦٥) ، ومختصر الصواعق المرسلة لابن الموصلى (٢/٢٥١) ومناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ص (١٥٦) وترجمه الإمام أحمد من تاريخ الإسلام للذهبى ص (٢٧) .

* قال الشيخ محمد صالح العثيمين فى فتح رب البرية فى تلخيص الحموية ص (٦٣) : « المعنى الذى نفاه الإمام أحمد فى كلامه هو المعنى الذى ابتكره المعطلة من الجهمية وغيرهم وصرفوا به نصوص الكتاب والسنة عن ظاهرها إلى معانى تخالفه ، ويدل على ما ذكرنا أنه نفى المعنى ونفى الكيفية ليتضمن كلامه الرد على كلتا الطائفتين المبتدعتين : طائفة المعطلة ، وطائفة المشبهة » أ.هـ .

..... الشـــرح .....

ما تضمَّنه كلام الإمام أحمد فى أحاديث النُّزول وشبهها :

تضمَّن كلام الإمام أحمد ـــ رحمه الله ـــ الذى نقله عنه المؤلف ما يأتى :

١ - وجوب الإيمان والتصديق بما جاء عن رسول الله ﷺ من أحاديث الصفات من غير زيادة ولا نقص ولا حدٍ ولا غاية .

٢ - إنه لا كيف ولا معنى أى : لا نكيف هذه الصفات لأن تكييفها ممتنع لما سبق وليس مراده أن لا كيفية لصفاته لأن صفاته ثابتة حقاً وكل شىء ثابت فلابد له من كيفية لكن كيفية صفات الله غير معلومة لنا .

وقوله : (ولا معنى) أى لانثبت لها معنى يخالف ظاهرها كما فعله أهل التأويل وليس مراده نفى المعنى الصحيح الموافق لظاهرها الذى فسرها به السلف فإن هذا ثابت ويدل على هذا قوله ولا نرد شيئاً منها ونصفه بما وصف به نفسه ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعةٍ شنعت ولا نعلم كيف كنه ذلك فإن نفيه لرد شىء منها ونفيه لعلم كيفيتها دليل على إثبات المعنى المراد منها .

٣ - وجوب الإيمان بالقرآن كله محكمه وهو ما اتضح معناه ومتشابهه وهو ما أشكل معناه فنرد المتشابه إلى المحكم ليتضح معناه فإن لم يتضح وجب الإيمان به لفظاً وتفويض معناه إلى الله تعالى .

* * *

[٤] قال الإمام أبوعبدالله محمد بن إدريس الشافعى رضى الله عنه :
« آمَنْتُ بِٱللهِ وَبِمَا جَاءَ عَنِ ٱللهِ ، عَلَى مُرَادِ ٱللهِ ، وَآمَنْتُ بِرَسُولِ ٱللهِ ، وَبما جَاءَ عن رَسُولِ ٱللهِ ، عَلَى مُرَاد رَسُول ٱللهِ »[٨] .

---

(٨) راجع : الرسالة المدنية لابن تيمية ص (١٢١) مع الفتوى الحموية .

• قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « أما ماقال الشافعى فإنه حق يجب على كل مسلم اعتقاده . ومن اعتقده ولم يأت بقول يناقضه ، فإنه سلك سبيل السلامة فى الدنيا والآخرة » أ.هـ .
=

..... الشــرح .....

ما تضمنــه كلام الإمام الشـافعى :

تضمن كلام الإمام الشافعى مايأتى :

١ – الإيمان بما جاء عن الله تعالى فى كتابه المبين على ما أراده الله من غير زيادة ولا نقص ولا تحريف .

٢ – الإيمان بما جاء به عن رسول الله ﷺ فى سنة رسول الله ﷺ على ما أراده رسول الله ﷺ من غير زيادة ولا نقص ولا تحريف .

وفى هذا الكلام رد على أهل التأويل وأهل التمثيل لأن كل واحد منهم لم يؤمن بما جاء عن الله ورسوله على مراد الله ورسوله فإن أهل التأويل نقصوا وأهل التمثيل زادوا .

* * *

[٥] وعلى هذا درج السَّلف وأئمة الخلف رضى الله عنهم ، كلهم متفقون على الإقرار والإمرار والإثبات لما ورد من الصِّفات فى كتاب الله وسُنَّة رسوله من غير تَعَرُّضٍ لتأويله .

= قلت ومن أقوال الشافعى الهامة فى باب الأسماء والصفات قوله : « لله تعالى أسماء وصفات لايسع أحداً قامت عليه الحجة ردها ، فإن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر فأما قبل ثبوت الحجة عليه فمعذور بالجهل ؛ لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ، ولا بالروية والفكر ، ويثبت هذه الصفات وينفى عنها التشبيه كما نفى عن نفسه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير ﴾ [الشورى : ١١] راجع مختصر العلو للألبانى ص (١٧٧) واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ص (٥٩) .

..... الشـــرح .....

طريق السلف الذى درجوا عليه فى الصفات :

الذى درج عليه السلف فى الصفات هو الاقرار والإثبات لما ورد من صفات الله تعالى فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من غير تعرض لتأويله بما لايتفق مع مراد الله ورسوله .

* * *

التَّرغِيبُ فِي السُّنَّةِ وَالتَّحذِيرُ مِنَ البِدْعَةِ

[٦] وقد أُمِرْنا بالإقتفاء لآثارهم والإهتداء بمنارهم وحُذِّرنا المُحْدثات، وأُخبِرْنا أنها من الضَّلالات ، فقال النبى ﷺ : « عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِى وسُنَّةِ الخُلفاءِ الرَّاشِدِين المَهْدِيين من بَعْدِى ، عَضُّوا عليها بالنَّوَاجِذْ ، وإيَّاكُمْ ومُحْدَثات الأُمور ، فإنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالة » .

..... الشـــرح .....

والاقتداء بهم فى ذلك واجب لقوله ﷺ :« عَلَيْكُم بِسُنَّتى وسُنَّةِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدين المَهْدِيين من بَعْدى عَضُّوا عليها بالنَّواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » رواه أحمد وأبوداود والتِّرمذى وقال : « حسن صحيح » وصححه الألبانى وجماعة[9] .

---

(٩) **حديث صحيح** : أخرجه أحمد فى المسند (١٢٦/٤ ، ١٢٧) .

وأبوداود : كتاب السنة : باب فى لزوم السنة (٤٦٠٧) .

والترمذى : كتاب العلم : باب ماجاء فى الأخذ بالسنة واجتناب البدعة (٢٦٧٦) .

وابن ماجة : فى المقدمة : باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (٤٢ ، ٤٣) والدرامى (٤٤/١) وابن حبان (١٠٢–موارد) والحاكم (٩٧/١) وابن أبى عاصم فى السنة (ص١٧ : ٢٠ ، ٢٩ ، ٣٠) البيهقى فى دلائل النبوة (٥٤١/٦) وابن عبدالبر فى جامع بيان العلم وفضله (٢٢٢/١ : ٢٢٤) من حديث العرباض بن سارية أبى نجيح رضى الله عنه . وقد صححه غير واحد من أهل العلم : فقال الترمذى : « حسن صحيح » وصححه الحاكم وأقرّه الذهبى ، ونقل ابن عبدالبر عن أبى بكر أحمد بن عمرو البزار قوله : « حديث عرباض فى الخلفاء الراشدين صحيح ثابت » ثم قال : وهو كما قال . وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية فى غير موضع (٣٠٩/٢٠) مجموع الفتاوى وفى اقتضاء الصراط المستقيم (٥٧٩/٢) .

أما تصحيح الألبانى الذى أشار إليه الشيخ ففى صحيح الجامع الصغير (٣٤٦/٢) وفى تخريج السنة لابن أبى عاصم ص (١٧ : ٢٠) ، ص(٢٩ ، ٣٠) .

=

السنة والبدعة وحكم كل منهما :

السنة لغة : الطريقة . واصطلاحاً : ما كان عليه النبى ﷺ وأصحابه من عقيدة أو عمل . واتباع السنة واجب لقوله تعالى :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ﴾

[الأحزاب : ٢١]

وقوله ﷺ : « عَلَيْكُم بِسُنَّتِى وسُنَّةِ الخُلفاء الرَّاشِدين المَهْديين مِنْ بَعْدِى عَضُّوا عَلَيْهَا بالنَّواجذ » .

والبدعة لغة : الشىء المستحدث . واصطلاحاً : ماأُحْدِث فى الدين على خلاف ما كان عليه النبى ﷺ وأصحابه من عقيدةٍ أو عملٍ .

وهى حرام لقوله تعالى :

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾

[النساء : ١١٥]

وقوله ﷺ : « وإيَّاكُم ومُحْدَثَاتِ الأُمُور فإنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعة وُكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالة » .

* * *

= ★ **فائـــدة :**

* قال الحافظ ابن رجب فى جامع العلوم والحكم ص (٣٦٥) فى شرحه لهذا الحديث فى الكلام على محدثات الأمور وتعديدها : « وأصعب من ذلك ما أحدث من الكلام فى ذات الله وصفاته مما سكت عنه النبى ﷺ والصحابة والتابعين لهم بإحسان . فقوم نفوا كثيراً مما ورد فى الكتاب والسنة من ذلك وزعموا أنهم فعلوه تنزيها لله عما تقتضى العقول تنزيهه عنه ، وزعموا أن لازم ذلك مستحيل على الله عز وجل . وقوم لم يكتفوا بإثباته حتى أثبتوا مايظن أنه لازم له بالنسبة إلى المخلوقين ، وهذه اللوازم نفياً وإثباتاً درج صدر الأمة على السكوت عنها » أ.هـ .

[٧] وقال عبدالله بن مسعود رضى الله عنه : « اتَّبِعُواْ وَلَا تَبْتَدِعُواْ ، فَقَد كُفِيتُم »[١٠] .

[٨] وقال عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه كلاماً معناه : « قِفْ حَيْثُ وَقَفَ القوم ، فإنَّهم عن عِلْم وَقَفُوا ، وَبِبَصَرٍ نافِذٍ كَفُّواْ وهُمْ على كَشْفها كانوا أَقْوَىٰ ، وبالفَضْل لو كان فيها أَحرىٰ ، فلئِنْ قُلْتُم : حَدَثَ بَعْدَهُم ، فَمَا أَحْدَثَهُ إِلَّا مَنْ خَالفَ هَدْيَهُمْ ، ورَغِبَ عن سُنَّتِهم ، وَلَقد وَصفوا منه ما يشفى ، وَتَكَلَّمُواْ منه بِمَا يَكْفِى ، فَمَا فَوْقَهم مُحَسِّر ،

---

(١٠) **أثر صحيح** : وقد رواه عن ابن مسعود غير واحد من التابعين منهم :

١ - أبوعبدالرحمن السلمى :

أخرجه الدارمى (٢١١) والطبرانى فى الكبير (٨٨٧٠) والبيهقى فى المدخل (٢٠٤) وابن وضاح فى البدع والنهى عنها ص (١٠) كلهم من طريق الأعمش عن حبيب بن أبى ثابت عنه وقال الهيثمى فى المجمع (١٨١/١) : « ورجاله رجال الصحيح » .

قلت : لكن الإسناد فيه عنعنة الأعمش وعنعنة حبيب بن أبى ثابت وكلاهما مدلس .

٢ - إبراهيم النخعى :

أخرجه أبوخيثمة فى العلم (٥٤) من طريق العلاء عن حماد عنه وصحح إسناده الألبانى حيث قال : « وهذا إسناد صحيح ، فإبراهيم وإن كان لم يدرك عبدالله وهو ابن مسعود فقد صح عنه أنه قال : إذا حدثتكم عن رجل عن عبدالله فهو الذى سمعت ، وإذا قلت : قال عبدالله فهو غير واحد عن عبدالله » .

٣ - قتاده :

أخرجه ابن وضاح فى البدع والنهى عنها ص (١١) من طريق أبى هلال عنه وأبوهلال هذا هو محمد بن سليم صدوق وفيه لين أخرج له البخارى فى التعاليق .

وبالجملة فأثر ابن مسعود بهذه الطرق صحيح بلا ريب والله أعلم .

وَمَا دُونهُم مُقصِّر ، لقَد قَصَّر عَنهم قَوْمٌ فَجَفُواْ ، وَتَجَاوَزَهُم آخرون فَغَلُواْ ، وإنَّهم فيما بين ذَٰلك لَعَلى هُدىً مُسْتَقِيم »(١١) .

[٩] وقال الإمام أبوعمرو الأوزاعى رضى الله عنه : « عَلَيْكَ بِآثَارِ مَنْ سَلَفَ وإنْ رَفَضَكَ النَّاسُ ، وَإِيَّاكَ وآراءِ الرِّجَال ، وإنْ زَخْرَفُوه لَكَ بالقَوْل »(١٢) .

---

(١١) الأثر أورده ابن قدامة فى كتابه البرهان فى بيان القرآن ص (٨٨ ، ٨٩) من قول عبدالعزيز بن أبى الماجشون ثم قال : « وروى معناه عن عمر بن عبدالعزيز » .

وقد أورده الحافظ ابن الجوزى فى مناقب عمر بن عبدالعزيز ص (٨٣ ، ٨٤) ، وأورد الحافظ ابن رجب طرفاً منه مع اختلاف يسير فى رسالته فضل علم السلف ص (٣٦) وهى قوله : « إن السابقين عن علم وقفوا ، وببصر ناقد كفوا ، وكانوا هم أقوى على البحث لو بحثوا » أ.هـ يشير بهذا إلى أن سكوتهم كان عن علم وخشية وليس سكوت عجز وعى ، وأن توسع من توسع بعدهم لايدل على أنهم أعلم منهم . وراجع فى هذا المعنى فضل علم السلف ص(٣٦ : ٤١) .

* كفوا : امتنعوا . بالفضل : بالزيادة . محسر : من الحسر وهو التعب والإعياء . جفوا : من الجفاء وهو التباعد . غلوا : الغلو هو تجاوز الحد .

(١٢) **أثر صحيح** : أخرجه الخطيب فى شرف أصحاب الحديث ص(٧) والآجرى فى الشريعة ص(٥٨) وعنه ابن عبدالبر فى جامع بيان العلم وفضله (١١٤/٢) من طريق العباس بن الوليد بن مزيد البيروتى قال : « أخبرنى أبى قال : سمعت الأوزاعى يقول : فذكره .

وهذا إسناد صحيح . وأما قول الحافظ فى التقريب (٣٩٩/١) عن العباس بن الوليد أنه صدوق فمتعقب ، فقد وثقه ابن أبى حاتم والنسائى وابن حبان وغيرهم كما فى التهذيب (١١٥/٥ ، ١١٦) والجرح والتعديل (٢١٦/٢) وطبقات الحنابلة (٢٣٥/١) .

والأثر أورده الحافظ الذهبى فى سير أعلام النبلاء (١٢٠/٧) وفى العلو للعلى الغفار وصحح الألبانى إسناده فى مختصره للعلو ص(١٣٨) .

..... الشـــرح .....

الآثار الواردة فى الترغيب بالسنة والتحذير من البدعة :

١ - من أقوال الصحابة : قال ابن مسعود رضى الله عنه الصحابى الجليل المتوفى سنة ٣٢هـ عن بضع وستين سنة :

(**اتبعوا**) أى التزموا آثار النبى ﷺ من غير زيادة ولا نقص **(ولاتبتدعوا)** لا تحدثوا بدعة فى الدين .

(**فقد كفيتم**) أى كفاكم السابقون مهمة الدين حيث أكمل الله تعالى الدين لنبيه ﷺ وأنزل قوله :

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾

[المائدة : ٣]

فلا يحتاج الدين إلى تكميل .

٢ - من أقوال التابعين : قال أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز المولود سنة ٦٣ المتوفى سنة ١٠١هـ قولاً يتضمن مايأتى :

أ - وجوب الوقوف حيث وَقَفَ القوم ـ يعنى بهم ـ النبى ﷺ وأصحابه فيما كانوا عليه من الدين عقيدة وعملاً لأنهم وقفوا عن علم وبصيرة ولوكان فيما حدث بعدهم خير لكانوا به أحرى .

ب- إنَّ ما أُحْدِث بعدهم فليس فيه إلا مخالفة هديهم والزهد فى سنتهم وإلا فقد وصفوا من الدين ما يشفى وتكلموا فيه بِمَا يكفى .

جـ- إن من الناس من قصر فى اتباعهم فكان جافيًا ومن الناس من تجاوزهم فكان غاليًا والصراط المستقيم ما بين الغلو والتقصير .

٣ – من أقوال تابعى التابعين : قال الأوزاعى عبدالرحمن بن عمرو المتوفى سنة ١٥٧ (**عليك بآثار من سلف**) : الزم طريقة الصحابة والتابعين لهم بإحسان لأنها مبنية على الكتاب والسنة .

(**وإن رفضك الناس**) أبعدوك واجتنبوك .

(**وإياك وآراء الرجال**) آحذر آراء الرجال وهى ما قيل بمجرد الرأى من غير استناد إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

(**وإن زخرفوه**) جملوا اللفظ وحسنوه فإن الباطل لا يعود حقاً بزخرفته وتحسينه .

[١٠] وقال محمد بن عبدالرحمن الأدرمى لرجل تكلم ببدعةٍ ودعا الناس إليها : هل علمها رسول الله ﷺ وأبوبكر وعمر وعثمان وعلى ، أو لم يعلموها ؟ قال : لم يعلموها . قال : فشىءٌ لم يعلمه هؤلاء أعلمته أنت ؟!! قال الرجل : فإنى أقول : قد علموها . قال : أفوسعهم أن لا يتكلموا به ، ولايدعوا الناس إليه أم لم يسعهم ؟ قال : بلى وسعهم . قال : فشىءٌ وسع رسول الله ﷺ وخلفاءه ، لايسعك أنت ؟!! فانقطع الرجل . فقال الخليفة ــ وكان حاضراً ــ: لا وسع الله على من لم يسعه ما وسعهم .

[١١] وهكذا من لم يسعه ما وسع رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ ، والأئمة من بعدهم والرَّاسخين فى العلم من تلاوة آيات الصفات وقراءة أخبارها وإمرارها كما جاءت فلا وسَّع الله عليه .

..... الشـــرح .....

مناظرة جرت عند خليفة بين الأدرمى وصاحب بدعة :

لم أطلع على ترجمة للأدرمى(١٣) ومن معه ولا أعلم نوع البدعة المذكورة والمهم أن نعرف مراحل هذه المناظرة لنكتسب منها طريقاً لكيفية المناظرة بين الخصوم

---

(١٣) القصة أخرجها الخطيب فى تاريخ بغداد (٧٥/١٠) ومن طريقه ابن الجوزى فى مناقب الإمام أحمد ص(٤٣١ : ٤٣٦) ومن طريقه ابن قدامة فى التوابين ص(١٩٤) وأخرجها الذهبى فى سير أعلام النبلاء (٣١٣/١١) والآجرى فى الشريعة ص (٩١ : ٩٥) وأوردها ابن كثير فى البداية والنهاية (٣٣٥/١٠) .

وقد رويت القصة من طريقين أحدهما مطول والآخر مختصر وقال الحافظ الذهبى بعد ذكر الطريقة المختصرة للقصة : « هذه قصة مليحة وإن كان فى طريقها من يجهل ولها شاهد » ثم ذكر لها الطريق المطول .

ويظهر من كلام الشيخ العثيمين حفظه الله أن فى هذه القصة مبهمات أربعة الأدرمى ، والمناظر له ، والخليفة الذى حضر المناظرة ، والبدعة التى جرت المناظرة بسببها ومن خلال التعرف على شخصية المُنَاظِر تتبين لنا بقية المبهمات . =

= **الأول : الأدرمي** : والذى نستطيع تأكيده أنه مُصَحَّف من الأذرمى واسمه أبوعبدالرحمن عبدالله بن محمد بن إسحاق الآذرمى روى عن وكيع وابن عيينة وابن مهدى وغيرهم وروى عنه أبوداود والنسائى ووثقه أبوحاتم والنسائى ترجمته فى التهذيب (٤/٦ ، ٥) والأنساب للسمعانى (٦٢/١) . وهو صاحب القصة المذكورة كما جاء فى المصادر التى وردت بها القصة وكما رجَّح غير واحد من أهل العلم فروى الخطيب فى تاريخه (٧٧/١٠ ، ٧٨) وابن الجوزى فى المناقب ص(٤٣٦) أن الحافظ أبابكر أحمد بن عبدالرحمن الشيرازى حدَّث بهذه المناظرة ثم قال : « الشيخ هو أبوعبدالرحمن عبدالله بن محمد بن اسحاق الأذرمى »أ.هـ .

وقال الخطيب فى تاريخه (٧٥/١٠) : « وكان هارون الواثق بالله أشخص شيخاً من أهل أذنه للمحنة وناظر ابن أبى دُوَاد بحضرته واستعلى عليه الشيخ بحجته فأطلقه الواثق وردَّه إلى وطنه ، ويقال : إنه كان أبا عبدالرحمن الأذرمى » أ.هـ .

وقال الحافظ فى التهذيب (٥/٦) بعد أن ذكر كلام الخطيب : قلت : القصة مشهورة حكاها المسعودى وغيره ، ورواها السيارى فى الألقاب بإسناد له قال فيه : إن الشيخ المناظر هو الأذرمى هذا » أ.هـ .

وقال السمعانى فى الأنساب (٦٢/١) فى مادة : الأذرمى : بعد الألف وفتح الذال المعجمة وسكون الراء ، وفى آخرها الميم ، هذه النسبة إلى آذرم ، وظنى أنها من قرى أذنة بلدة من الثغر منها أبوعبدالرحمن عبدالله بن محمد بن اسحاق الآذرمى .... ثم ترجم له وذكر مثل كلام الخطيب .

الثانى : المناظر له وهو أحمد بن أبى دُاوُد : القاضى الكبير أبوعبدالله أحمد بن فرج بن حريز الإيادى البصرى البغدادى الجهمى عدو أحمد بن حنبل . كان داعية إلى خلق القرآن كانت له منزلة ومشورة عند الخليفة المأمون والمعتصم والواثق وكان إلْباً على الإمام أحمد يوم المحنة يقول يا أمير المؤمنين اقتله هو ضال مضل راجع ترجمته فى : وفيات الأعيان (٨١/١) وسير أعلام النبلاء (١٦٩/١١) والبداية والنهاية (٣١٩/١٠) وشذرات الذهب (٩٣/٢) .

الثالث : الخليفة الذى حضر المناظرة هو الواثق بالله هارون بن محمد (المعتصم بالله) بن هارون الرشيد العباسى أبوجعفر من خلفاء الدولة العباسية بالعراق ولد ببغداد وولى الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٢٢٧هـ فامتحن الناس فى خلق القرآن وسجن جماعة ، والظاهر أنه تاب عن ذلك فى آخر عمره كما جاء فى سياق روايات القصة التى نحن بصدد الكلام عليها ففى آخرها قال المهتدى بالله ابن الخليفة الواثق بالله : « فرجعت عن هذه المقالة ، وأظن أن الواثق رجع عنها منذ ذلك الوقت » أ.هـ .

وقد عنون الحافظ ابن قدامة فى التوابين ص(١٩٤) لهذه القصة بقوله (توبة الواثق بالله وابنه المهتدى بالله) . وقال الحافظ ابن الجوزى فى مناقب الإمام أحمد ص(٤٣١) : « وقد روى

وقد بنى الأدرمى ـــ رحمه الله ـــ مناظرته هذه على مراحل ليعبر من كل مرحلة إلى التى تليها حتى يفحم خصمه .

المرحلة الأولى : العلم فقد سأله الأدرمى هل علم هذه البدعة النبى ﷺ وخلفاؤه ؟ قال البدعى : لم يعلموها وهذا النفى يتضمن انتقاص النبى ﷺ وخلفائه حيث كانوا جاهلين بما هو من أهم أمور الدين ومع ذلك فهو حجة على البدعى إذا كانوا لايعلمونه ولذلك انتقل به الأدرمى إلى .

المرحلة الثانية : إذا كانوا لايعلمونها فكيف تعلمها أنت ؟ هل يمكن أن يحجب الله عن رسوله ﷺ وخلفائه الراشدين علم شىء من الشريعة ويفتحه لك ؟ فتراجع البدعى وقال أقول قد علموها فانتقل به إلى :

المرحلة الثالثة : إذا كانوا قد علموها فهل وسعهم أى أمكنهم أن لايتكلموا بذلك ولا يدعوا الناس إليه أم لم يسعهم ؟ فأجاب البدعى بأنهم وسعهم السكوت وعدم الكلام فقال له الأدرمى : فشىء وسع رسول الله ﷺ وخلفاؤه لايسعك أنت فانقطع الرجل وامتنع عن الجواب لأن الباب انسد أمامه .

فصوب الخليفة رأى الأدرمى ودعا بالضيق على من لم يسعه ما وسع النبى ﷺ وخلفاؤه .

وهكذا كل صاحب باطل من بدعة أو غيرها فلابد أن يكون مآله الانقطاع عن الجواب .

* * *

أن الواثق ترك امتحان الناس بسبب مناظرة جرت بين يديه رأى بها أن الأولى ترك الإمتحان ، ثم ساق القصة بطولها .

الرابع : **البدعة التى جرت المناظرة بسببها** : **هى بدعة القول بخلق القرآن** تلك الفتنة الكبرى التى امتحن بسببها أئمة أعلام على رأسهم الإمام الرّبانى والصِّديق الثّانى أحمد بن حنبل رحمه الله .

وراجع مقدمة الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط فى تعليقه على لمعة الاعتقاد حيث نبه على هذا التصويب أيضاً بإشارة لطيفة .

ذكر بعض آيات الصفات

[١٢] فمما جاء من آيات الصفات قول الله عز وجل :

﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾

[الرحمن : ٢٧]

..... الشـــرح .....

الصفات التى ذكرها المؤلف من صفات الله تعالى :

ذكر المؤلف رحمه الله من صفات الله الصفات الآتية وسنتكلم عليها حسب ترتيب المؤلـف .

الصـفة الأولى : الوجـــه :

الوجه ثابت لله تعالى بدلالة الكتاب والسنة وإجماع السلف .

قال الله تعالى :

﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾

[الرحمن : ٢٧]

وقال النبى ﷺ لسعد بن أبى وقاص : « إِنَّكَ لَنْ تُنْفِق نَفَقَةً تَبْتَغِى بِهَا وَجْه اللهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا » . متفق عليه[١٤] .

وأجمع السلف على إثبات الوجه لله تعالى فيجب إثباته له بدون تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وهو وجه حقيقى يليق بالله .

---

(١٤) البخارى : كتاب الجنائز : باب رثاء النبى ﷺ سعد بن خولة (١٢٩٥) .
ومسلم : كتاب الوصية : باب الوصية بالثلث (١٦٢٨) (٥) .
من حديث سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه .

وقد فَسَّره أهل التعطيل بالثواب وَنَرُدُّ عليهم بما سبق فى القاعدة الرابعة .

* * *

● وقوله سبحانه وتعالى :

﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾

[المائدة : ٦٤]

..... الشـــرح .....

الصفة الثانية : اليــدان :

اليدان من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف .

قال الله تعالى :

﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾

[المائدة : ٦٤]

وقال النبى ﷺ : « يَمِينُ ٱللهِ مَلْأَىٰ لايَغِيضُها نَفَقَة سَحَّاءُ ٱللَّيلَ والنَّهار » إلى قوله: «بِيَدِهِ الأُخْرَىٰ القَبْضُ يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ » رواه مسلم والبخارى معناه .(١٥)

وأجمع السلف على إثبات اليدين لله فيجب اثباتهما له بدون تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وَهُمَا يدان حقيقيتان لله تعالى يليقان به .

---

(١٥) مسلم : كتاب الزكاة : باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف (٩٩٣) (٣٧) .

وأما رواية البخارى فعنده فى كتاب التوحيد : باب قول الله تعالى : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ (٧٤١١) بلفظ « يد الله ملأىٰ لايغيضها نفقه .... » .

من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

لايغيضها : بالغين المعجمة والضاد المعجمة الساقطة : أى لاينقصها .

سحاء : بمهملتين منقلاً ممدود : أى دائمة الصب فتح البارى (٣٩٥/١٣) . =

وقد فسَّرهما أهل التعطيل بالنعمة أو القدرة ونحوها ونرد عليهم بما سبق فى القاعدة الرابعة وبوجهٍ رابع : أن فى السياق ما يمنع تفسيرهما بذلك قطعاً كقوله تعالى :

﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾

[صٓ : ٧٥]

وقوله ﷺ : « وَبِيَدِهِ الأُخْرَىٰ القَبْضُ » .

الأوجه التى وردت عليها صفة اليدين وكيف نوفق بينها :

الأول : الإفراد كقوله تعالى :

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾

[الملك : ١]

الثانى : التثنية كقوله تعالى :

﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾

[المائدة : ٦٤]

الثالث : الجمع كقوله تعالى :

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا ﴾

[يسٓ : ٧١]

والتوفيق بين هذه الوجوه أن نقول الوجه الأول مفرد مضاف فيشمل كل ماثبت لله من يدٍ ولا ينافى الثنتين وأما الجمع فهو للتعظيم لا لحقيقة العدد الذى هو ثلاثة فأكثر وحينئذٍ لاينافى التثنية على أنه قد قيل إن أقل الجمع اثنان فإذا حمل الجمع على أقله فلا معارضة بينه وبين التثنية أصلاً .

* * *

= ★ **فائـــدة :**

قال الحافظ فى الفتح (٣٩٥/١٣) فى الكلام على لفظ مسلم وروايته وأنها وقع فيهابدل يدْ الله « يمين الله » قال : « ويتعقب بها على من فسر اليد هنا بالنعمة وأبعد منه من فسرها بالخزائن وقال أطلق اليد على الخزائن لتصرفها فيها » أ.هـ

قلت : وفى هذا دلالة على رد الحافظ على المؤولة !!

● وقوله تعالى إخباراً عن عيسى عليه السلام أنه قال :

﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ﴾

[المائدة : ١١٦]

..... الشـــرح .....

الصفـة الثالثة : النفس :

النفس ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة واجماع السلف .

قال الله تعالى :

﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾

[الأنعام : ٥٤]

وقال عن عيسى إنه قال :

﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ﴾

[المائدة : ١١٦]

وقال النبى ﷺ : « سُبْحَانَ ٱللهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ » رواه مسلم[١٦] ، وأجمع السلف على ثبوتها على الوجه اللائق به فيجب اثباتها لله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل .

* * *

● وقوله سبحانه :

﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾

[الفجر : ٢٢]

وقوله تعالى :

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾

[البقرة : ٢١٠]

---

(١٦) مسلم : كتاب الذكر والدعاء .. : باب التسبيح أول النهار وعند النوم (٢٧٢٦) (٧٩) من حديث جويرية رضى الله عنها .

..... الشـــرح .....

الصفـة الرابعة : المجـىء :

مجىء آلله للفصل بين عباده يوم القيامة ثابت بالكتاب والسنة وإجماع السلف .

قال الله تعالى :

﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر : ٢٢]

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة : ٢١٠]

وقال النبى ﷺ : « حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ يَعْبُدُ آللهَ أَتَاهُم رَبُّ العَالَمِين » متفق عليه .(١٧) فى حديث طويل واجمع السلف على ثبوت المجىء لله تعالى فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وهو مجىءٌ حقيقى يليق بالله تعالى .

وقد فسَّره أهل التعطيل بمجىء أمره ونرد عليهم بما سبق فى القاعدة الرابعة .

* * *

● وقوله تعالى :

﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾ [المائدة : ١١٩]

---

(١٧) البخارى : كتاب التوحيد : باب قول الله تعالى : ﴿ وجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرة إلى رَبِّها نَاظِرة ﴾ (٧٤٣٩) .

ومسلم : كتاب الإيمان : باب معرفة طريق الرؤية (١٨٣) (٣٠٢) من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه .

..... الشـــرح .....

الصفـة الخامسة : الرِّضَـىٰ :

الرِّضَا من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف .

قال الله تعالى :

﴿ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾

[المائدة : ١١٩]

وقال النبى ﷺ : « إنَّ آللهَ لَيَرْضَىٰ عن العَبْدِ أَنْ يَأْكُل الأَكْلَةَ فَيَحْمِدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمِدَهُ عَلَيْهَا » . رواه مسلم .(١٨) .

وأجمع السلف على إثبات الرِّضَى لله تعالى فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل .

وهو رضا حقيقى يليق بالله تعالى .

وقد فسره أهل التعطيل بالثواب ونرد عليهم بما سبق فى القاعدة الرابعة .

* * *

● وقوله تعالى :

﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾

[المائدة : ٥٤]

---

(١٨) مسلم : كتاب الذكر والدعاء .. : باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب (٢٧٣٤) (٧٩) من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه .

* الأكلة : الأكلة هنا بفتح الهمزة وهى المرة الواحدة من الأكل كالغداء والعشاء .

..... الشـــرح .....

الصفـة السادسة : المحبَّـة :

المحبة من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف .

قال الله تعالى :

﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ ﴾

[المائدة : ٥٤]

وقال النبى ﷺ يوم خيبر : « لأُعْطِيَنَّ الرَّاية غَدَاً رَجُلاً يُحِبُّ ٱللهَ وَرَسُوله وَيُحِبُّه الله وَرَسُوله » . متفق عليه(١٩) .

وأجمع السلف على ثبوت المحبة لله يُحِبُّ وَيُحَبُّ فيجب إثبات ذلك حقيقة من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل .

وهى محبة حقيقية تليق بالله تعالى .

وقد فسرها أهل التعطيل بالثواب والرد عليهم بما سبق فى القاعدة الرابعة .

* * *

● وقوله تعالى فى الكفار :

﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾

[الفتح : ٦]

---

(١٩) البخارى : كتاب المغازى : باب غزوة خيبر (٤٢١٠) .

ومسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل على .. (٢٤٠٦) (٣٤) .

من حديث سهل بن سعد رضى الله عنه .

* والرجل المقصود فى الحديث : هو على بن أبى طالب رضى الله عنه كما وضحت الرواية .

..... الشـــرح .....

الصفـة السابعة : الغضـب :

الغضب من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف .

قال الله تعالى فيمن قتل مؤمناً متعمداً :

﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ ﴾

[النساء : ٩٣]

وقال النبى ﷺ : « إِنَّ ٱللهَ كَتَبَ كِتَاباً عِنْدَهُ فَوْقَ ٱلعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِى تَغْلِبُ غَضَبِى » متفق عليه .(٢٠)

وأجمع السلف على ثبوت الغضب لله فيجب إثباته من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل . وهو غضبٌ حقيقى يليق بالله .

وفسَّره أهل التعطيل بالانتقام ونرد عليهم بما سبق فى القاعدة الرابعة وبوجهٍ رابع أن الله تعالى غَايَرَ بين الغضب والانتقام فقال تعالى :

﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ﴾

[الزخرف : ٥٥]

أى اغضبونا –

﴿ ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ ﴾

[الزخرف : ٥٥]

فجعل الانتقام نتيجة للغضب فدل على أنه غيره .

* * *

● وقوله تعالى :

﴿ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ ﴾

[محمد : ٢٨]

---

(٢٠) البخارى : كتاب التوحيد : باب قول الله تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مجيد فى لَوْحٍ مَحْفُوظ ﴾ (٧٥٥٤)

ومسلم : كتاب التوبة : باب فى سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه (٢٧٥١) (١٤) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

..... الشـــرح .....

الصفـة الثامنة : السُّخط :

السخط من صفات الله الثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف .

قال الله تعالى :

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ ﴾

[محمد : ٢٨]

وكان من دعاء النبى ﷺ : « اللَّهُمَّ إنِّى أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ... » الحديث رواه مسلم .(٢١)

وأجمع السلف على ثبوت السخط لله فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل . وهو سخط حقيقى يليق بالله .

وفسَّره أهل التعطيل بالانتقام ونرد عليهم بما سبق فى القاعدة الرابعة .

* * *

● وقوله تعالى :

﴿ كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ ﴾

[التوبة : ٤٦]

..... الشـــرح .....

الصفـة التاسعة : الكراهـة :

الكراهة من الله لمن يستحقها ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف .

قال الله تعالى :

﴿ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ ﴾

[التوبة : ٤٦]

---

(٢١) مسلم : كتاب الصلاة : باب مايقال فى الركوع والسجود (٤٨٦) (٢٢٢) من حديث عائشة رضى الله عنها .

وقال النبى ﷺ : « إِنَّ الله كَرِه لَكُم قِيلَ وَقَال وكَثْرَة السُّؤَالِ وإِضَاعَة المَال » رواه البخارى[22] .

وأجمع السلف على ثبوت ذلك لله فيجب إثباته من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل . وهى كراهة حقيقية من الله تليق به .

وفسر أهل التعطيل الكراهة بالإبعاد ونرد عليهم بما سبق فى القاعدة الرابعة .

* * *

(22) البخارى : كتاب الأدب : باب عقوق الوالدين من الكبائر (5975) .

ومسلم : كتاب الأقضية : باب النهى عن كثرة المسائل من غير حاجة ... (593) (13) واللفظ له . من حديث المغيرة بن شعبة رضى الله عنه .

ذكر بعض أحاديث الصفات

[١٣] ومن السنة قول النبى ﷺ : « يَنزِلُ ربنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ إلَىٰ سَمَاءِ الدُّنْيا »(*) .

..... الشــــرح .....

الصفـة العاشرة : النـزول :

نزول الله إلى السماء الدنيا من صفاته الثابتة له بالسنة وإجماع السلف .

قال النبى ﷺ « يَنْزِلُ رَبُّنا إلى السَّمَاء الدُّنيا حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُث اللَّيْل الآخر فَيَقُول مَنْ يَدْعونى فاسْتَجِيبُ لَهُ ... » الحديث متفق عليه .(٢٣) .

وأجمع السلف على ثبوت النزول لله فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل . وهو نزول حقيقى يليق بالله .

وفسره أهل التعطيل بنزول أمره أو رحمته أو ملك من ملائكته ونرد عليهم بما سبق فى القاعدة الرابعة وبوجه رابع أن الأمر ونحوه لا يمكن أن يقول من يدعونى فاستجيب له .. الخ .

* * *

● وقوله : « يَعْجَب رَبك من الشَّاب لَيْسَتْ له صَبْوة »

(*) زاد ابن القيم فى اجتماع الجيوش ص(١٩١) : «وقوله ﷺ : لله أفرح بتوبه عبده »

(٢٣) البخارى : كتاب التهجد : باب الدعاء والصلاة فى آخر الليل (١١٤٥) .

ومسلم : كتاب صلاة المسافرين : باب الترغيب فى الدعاء والذكر فى آخر الليل والإجابة فيه (٧٥٨) (١٦٨) . من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

وفى الباب عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أخرجه مسلم (٧٥٨) (١٧٢) .

وراجع لشرح هذا الحديث والكلام عليه باستفاضة « شرح حديث النزول » لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

..... الشـــرح .....

الصفـة الحادية عشرة : العجـب :

العجب من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف .

قال الله تعالى :

﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾

[الصافات : ١٢]

على قراءة ضم التاء(*) .

وقال النبى ﷺ : « يَعْجَبُ رَبُّكَ مِنَ ٱلشَّاب لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَة » رواه أحمد وهو فى المسند ص ١٥١ج ٤ عن عقبة بن عامر مرفوعاً وفيه ابن لهيعة .(٢٤)

وأجمع السلف على ثبوت العجب لله فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل . وهو عجب حقيقى يليق بالله .

(*) يشير الشيخ حفظه الله إلى قراءة حمزة والكسائى وخلف بضم التاء . راجع : المبسوط فى القراءات العشر لابن مهران الأصبهانى ص(٣٧٥) ، والسبعة فى القراءات لابن مجاهد ص(٥٤٧) .

(٢٤) **حديث ضعيف** : أخرجه أحمد (١٥١/٤) وابن أبى عاصم فى اسنة (٥٧١) وأبويعلى (١٤٧٩) والطبرانى فى الكبير (٣٠٩/١٧) والقضاعى فى مسند الشهاب (٥٧٦) وتمام الرازى فى فوائده (١٢٨٧) والبيهقى فى الأسماء والصفات ص(٦٠٠) ونقل الحافظ السخاوى فى المقاصد الحسنة ص (١٢٣) تضعيف الحافظ ابن حجر العسقلانى له فى فتاويه من أجل عبدالله بن لهيعة وضعفه الألبانى فى الضعيفة (٢٤٢٦) وقال السخاوى : « روينا فى جزء أبى حاتم الحضرمى من حديث الأعمش عن إبراهيم قال : كان يعجبهم أن لايكون للشباب صبوة »

* الصبوة : الميل إلى الهوى .

ويغنى عن هذا الحديث فى إثبات صفة العجب ما رواه البخارى (٤٨٨٩) من حديث أبى هريرة فى حديث الضيف : « لقد عجب الله عز وجل – أو ضحك – من فلان وفلانة فأنزل الله عز وجل : ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ .

وفسره أهل التعطيل بالمجازاة ونرد عليهم بما سبق فى القاعدة الرابعة .

والعجب نوعان : إحداهما أن يكون صادراً عن خفاء الأسباب على المتعجب فيندهش له ويستعظمه ويتعجب منه وهذا النوع مستحيل على الله لأن الله لا يخفى عليه شيء .

الثانى : أن يكون سببه خروج الشيء عن نظائره أو عما ينبغى أن يكون عليه مع علم المتعجب وهذا هو الثابت لله تعالى .

* * *

● وقوله : « يَضْحَكُ ٱللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ قَتَلَ أُحَدُهُمَا الآخَر ثُمَّ يَدْخُلَانِ الجَنَّة » .

..... الشـــرح .....

الصفـة الثانية عشرة : الضحـك :

الضحك من صفات الله الثابتة له بالسنة وإجماع السلف .

قال النبى ﷺ : « يَضْحَكُ ٱللهُ إِلَى رَجُلَينْ يَقْتُلُ أُحَدُهُمَا الآخَرَ يَدْخُلَانِ الجَنَّة » . وتمام الحديث : « يُقَاتِلُ هَذَا فى سَبيل ٱللهِ فيقْتَلُ ثُمَّ يَتوُب الله عَلَىٰ القَاتِل فَيُسْتَشهد » . متفق عليه[٢٥] .

---

(٢٥) البخارى : كتاب الجهاد : باب الكافر يقتل المسلم ، ثم يسلم فيسدد بعد ويقْتل (٢٨٢٦)

ومسلم : كتاب الإمارة : باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة (١٨٩٠) (١٢٨) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

وأجمع السلف على إثبات الضحك لله فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل . وهو ضحك حقيقى يليق بالله تعالى .

وفسره أهل التعطيل بالثواب ونرد عليهم بما سبق فى القاعدة الرابعة .

* * *

[**١٤**] **فهذا وما أشبهه ممَّا صَحَّ سنده وَعُدِّلَت رواته ، نؤمن به ولا نرده ، ولا نجحده ، ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره ، ولا نشبهه بصفات المخلوقين ، ولابسمات المُحْدَثين(*) ، ونعلم أن الله سبحانه وتعالى لاشبيه له ولا نظير :**

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى : ١١]

وكل ما تخيل فى الذهن أو خطر بالبال ، فإن الله تعالى بخلافه .

[**١٥**] **ومن ذلك قوله تعالى :**

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾

[طه : ٥]

..... الشـــرح .....

الصفـة الثالثة عشرة : الاستواء على العرش :

استواء الله على العرش من صفاته الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف .

قال الله تعالى :

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾

[طه : ٥]

وذكر استواءه على عرشه فى سبعة مواضع من القرآن .

(*) زاد فى إجتماع الجيوش ص (١٩١): « بل نؤمن بلفظه ونترك التعرض لمعناه قراءته تفسيره » .

وقال النبى ﷺ : « إِنَّ الله لَمَّا قضىٰ الخَلْقَ كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ إِنَّ رَحْمَتِى سَبَقَتْ غَضَبِى » . رواه البخارى[٢٦] .

وقال النَّبى ﷺ فيما رواه أبو داود فى سننه : « إِنَّ بعد مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلى سَمَاءٍ إِمَّا وَاحِدة أو اثْنَتان أَوْ ثَلاث وَسَبْعُون سَنَة إلى أَنْ قال فى العَرْشِ بين أَسْفَله وأَعْلاه مِثْل مَا بَيْن سَمَاءٍ إِلى سَمَاء ثمَّ الله تعالىٰ فوق ذَلك » . وأخرجه أيضاً الترمذى وابن ماجه وفيه علة أجاب عنها ابن القيم - رحمه الله - فى تهذيب سنن أبى داود[٢٧] . ص(٩٢ ، ٩٣)ج(٧) وأجمع السلف على إثبات استواء الله على عرشه فيجب إثباته من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وهو استواء حقيقى معناه العلو والاستقرار على وجه يليق بالله تعالى .

---

(٢٦) تقدم تخريجه ص (٥٥) .

(٢٧) **حديث ضعيف** : أخرجه أحمد (٢٠٦/١ ، ٢٠٧) وأبوداود (٤٧٢٣) والترمذى (٣٣٢٠) وحسنه ، وابن ماجه (١٩٣) والحاكم فى المستدرك (٥٠٠/٢ ، ٥٠١) ، وعثمان الدارمى فى الرد على الجهمية ص(٢٤) وفى النقض على المريسى ص(٩٠ ، ٩١) وابن أبى عاصم فى السنة (٥٧٧) وابن خزيمة فى التوحيد (١٤٤) والآجرى فى الشريعة ص(٢٩٢ ، ٢٩٣) ومحمد بن عثمان بن أبى شيبة فى العرش (٩ ، ١٠) والبيهقى فى الأسماء والصفات ص(٥٠٤) واللالكائى فى أصول اعتقاد أهل السنة (٦٥١) والعقيلى فى الضعفاء (٢٨٤/٢) وابن الجوزى فى العلل المتناهية (٢٥/٢) والواهيات (٩/١ ، ١٠) وأبونعيم فى أخبار أصبهان (٢/٢) وأبوالشيخ فى العظمة (٢٠٤) وابن قدامة فى العلو (٢٩) والذهبى فى العلو للعلى الغفار (ص ٤٩ ، ٥٠) وابن عبدالبر فى التمهيد (١٠٤/٧) وابن حزم فى الملل والنحل (١٠٠/٢ ، ١٠١) والمزى فى تهذيب الكمال (٧١٩/٢) وغيرهم من طرق عن سماك بن حرب عن عبدالله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبدالمطلب فذكره . وسنده ضعيف فيه أكثر من علة :

الأولى : تفرد سماك بروايته . وإذا نظرنا إلى حديث سماك حال الإنفراد وجدناه لايحتج به إذا انفرد . ففى التهذيب (٢٣٤/٤) : « قال النسائى : كان ربما لقن فإذا انفرد بأصل لم يكن حجة لأنه كان يلقن فيتلقن » أ.هـ وهذا جرح بين واضح من إمام ناقد وقد انفرد سماك فى حديثه بذكر صفة حملة العرش .

الثانية : جهالة عبدالله بن عميرة . وقد أعل الحافظ الذهبى حديثه هذا فى العلو بجاهلته . وفى الميزان له قال : « فيه جهالة » أ.هـ وقد قال الإمام البخارى : « لايعرف له سماع من الأحنف بن قيس » كذا فى التاريخ الكبير . =

وقد فسَّره أهل التعطيل بالاستيلاء ونرد عليهم بما سبق فى القاعدة الرابعة ونزيد وجهاً رابعاً أنه لا يعرف فى اللغة العربية بهذا المعنى ووجهاً خامساً أنه يلزم عليه لوازم باطلة مثل أن العرش لم يكن ملكاً لله ثم استولى عليه بعد .

والعرش لغة : السرير الخاص بالملك وفى الشرع العرش العظيم الذى استوى عليه الرحمن جل جلاله وهو أعلى المخلوقات وأكبرها وصفه الله بأنه عظيم وبأنه كريم وبأنه مجيد .

= **الثالثة**: نكارة المتن: فقد أشار أخينا المكرم عبدالله بن يوسف فى تعليقه على «فتيا وجوابها» لابن العطار ص (٧٢) : أن فى سياق المتن نكارة من وجهين :

١ - تشبيه الملائكة بالتيوس ، فإن الأوعال جمع وعل ، وهو تيس الجبال ، وإن كان هذا اللفظ يستعار للأشراف من الناس ، فإنه هاهنا على الأصل بقرينة ذكر الأظلاف فإنها من خواص مايجتر من الحيوان .

٢ - أكثر الأصول تذكر الأظلاف والركب مؤنثة وهو معنى منكر فى حق الملائكة وقد أنكره الله على المشركين » أ.هـ .

وقد ضعَف الحديث وأشار إلى ضعفه غير واحد من أهل العلم منهم ابن عدى فى الكامل فى ترجمة يحيى بن العلاء فقال : « إنه غير محفوظ » ورده ابن العربى فى شرحه للترمذى بقوله : « أمور تلقفت من أهل الكتاب ليس لها أصل الصحة » .

وكذا ضعفه الألبانى فى تخريجه للسنة لابن أبى عاصم (٥٧٧) والأرناؤوط فى تعليقه على الطحاوية (٢/٣٦٥) .

وماجاء من تقوية الحافظ ابن القيم له فى تهذيب السنن كما أشار الشيخ العثيمين فلا عتقاده أن العلة التى فى الحديث هى تفرد الوليد بن أبى ثور عن سماك بالرواية مع ضعفه وأن هذه العلة مدفوعة برواية غيره من الثقات عن سماك مثل ابراهيم بن طهمان وغيره .

والحق كما رأيت أن الأشكال والعلة ليس فى الطرق الموصلة لسماك فقد رواه عن سماك غير واحد مما هو مذكور فى طرقه ، وإنما الإشكال والعلة فى سماك نفسه ومن فوقه .

وقد أشار ابن القيم إلى علة أخرى وهى مخالفة هذا الحديث لحديث آخر رواه الترمذى من حديث أبى هريرة ورد هذه العلة بقوله : « أن الترمذى ضعف هذا الحديث عن أبى هريرة » وراجع تهذيب السنن (٧/٩٢ ، ٩٣) .

والخلاصة : أن الحديث ضعيف وأن أدلة الفوقية والإستواء مقررة بأدلة أخرى كثيرة فى الكتاب والسنة الصحيحة والله أعلم .

والكرسى غير العرش لأن العرش هو ما استوى عليه الله تعالى ، والكرسى موضع قدميه لقول ابن عباس رضى الله عنهما : « الكرسى موضع القدمين والعرش لايُقَدِّرُ أَحَدٌ قَدْرَهُ » رواه الحاكم فى مستدركه وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .(٢٨)

* * *

● وقوله تعالى :

﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾

[الملك : ١٦]

---

(٢٨) **صحيح موقوفاً** : أخرجه محمد بن عثمان بن أبى شيبة فى كتاب العرش (٦١) وعبدالله بن أحمد فى السنة (٤٠٧) والدارمى فى الرد على المريسى ص(٧١ : ٧٤) وابن خزيمة فى التوحيد ص(١٠٧ ، ١٠٨) والطبرى فى التفسير (٥٧٩٢) والطبرانى فى الكبير (١٢٢٠٤) والدارقطنى فى كتاب الصفات (٣٦ ، ٣٧) والحاكم فى المستدرك (٢٨٢/٢) من طريق سفيان عن عمار الدهنى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفاً عليه .

وإسناده حسن : فعمار الدُّهنى أبومعاوية البجلى صدوق روى له أصحاب الكتب الستة إلا البخارى كما فى التقريب ص (٤٠٨) . ومع ذلك فقد قال الحاكم : « صحيح على شرط الشيخين » ووافقه الذهبى !!

وقال الهيثمى فى المجمع (٣٢٣/٦) : « رجاله رجال الصحيح » أ.هـ .

وقد روى هذا الحديث مرفوعاً ولايصح وراجع لذلك التهذيب (٣١٣/٤) وتفسير ابن كثير (٣٠٩/١) والعلل لابن الجوزى وشرح الطحاوية لابن أبى العز (٣٦٩/٢) والميزان (١٦٥/٢) . وفى الباب : عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : « الكرسى موضع القدمين وله أطيط كأطيط الرجل » أخرجه محمد بن عثمان أبى شيبة فى كتاب العرش (٦٠)

وعبدالله بن أحمد فى السنة وابن جرير فى تفسيره (٧/٣) والبيهقى فى الأسماء والصفات ص(٥١٠) وأبوالشيخ فى العظمة (٤٢/٢) والذهبى فى العلو (١٢٤ - مختصر)

وإسناده صحيح موقوف كما قال الألبانى فى مختصره للعلو .

* وراجع كلام شيخ الإسلام ابن تيمية فى الرسالة العرشية على هذا الأثر وكذا ماقاله الشيخ العثيمين فى تفسير آية الكرسى ص(٢٤ : ٢٦) .

وقول النبي ﷺ : رَبّنا الله الَّذى فى السَّماء تَقَدَّسَ اسْمُكَ » وقال للجارية : « أَيْنَ ٱللهُ؟ » قالت : فى السماء . قال : « اعْتِقْهَا فإِنَّها مُؤْمِنَة » . رواه مالك بن أنس ومسلم وغيرهما من الأئمة .

[١٦] وقال النبي ﷺ لحصين : « كم إِلهًا تَعْبُدُ ؟ » قال : سبعة : ستة فى الأرض ، وواحداً فى السماء . قال : « مَنْ لِرَغْبتكَ وَرَهْبَتِكَ ؟ » قال : الذى فى السماء . قال : « فاتْرُكِ السِّتَّة واعبُد الَّذى فى السَّماء ، وأَنَا أُعَلِّمك دَعْوَتَيْن » . فأسلم ، وعلمه النبى ﷺ أن يقول : « اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِى رُشْدِى ، وَقِنى شَرَّ نَفْسِى » .

[١٧] وفيما نُقل من علامات النبى ﷺ وأصحابه فى الكتب المتقدمة : « أنهم يسجدون بالأرض ويزعمون أن إلههم فى السماء » .

[١٨] وروى أبوداود فى سننه أن النبى ﷺ قال : « إِنَّ ما بَيْنَ سَمَاءٍ إلى سَمَاءٍ مَسِيرة كَذَا وكذا ...» وذكر الخبر إلى قوله : « وفَوْقَ ذَلْك العَرْش ، والله سُبْحَانَهُ فَوْق ذَلْك » .

[١٩] فهذا وما أشبهه مما أجمع السلف رحمهم الله على نقله وقبوله ، ولم يتعرضوا لرده ، ولا تأويله ولا تشبيهه ولا تمثيله .

..... الشــــرح .....

الصفــة الرابعة عشـرة : العلـو :

العلو من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف .

قال الله تعالى :

﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾

[البقرة : ٢٥٥]

وكان النبى ﷺ يقول فى صلاته فى السجود : « سُبْحَانَ رَبِّى الأَعْلَىٰ » رواه مسلم من حديث حذيفة[٢٩] وأجمع السلف على ثبوت العلو لله فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وهو علو حقيقى يليق بالله .

وينقسم إلى قسمين :

(أ) علو صفة : بمعنى أن صفاته تعالى عُلْيَا ليس فيها نقص بوجه من الوجوه ودليله ما سبق .

(ب) وعلو ذات بمعنى أن ذاته تعالى فوق جميع مخلوقاته ودليله مع ما سبق :

قوله تعالى :

﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الملك : ١٦]

وقول النبى ﷺ : « رَبّنا الله الّذى فى السَّماء تَقَدَّس اسْمُك ... » الحديث رواه أبو داود وفيه زيادة ابن محمد قال البخارى منكر الحديث[٣٠] .

---

(٢٩) مسلم : كتاب صلاة المسافرين وقصرها : باب استحباب تطويل القراءة فى صلاة الليل (٧٧٢) (٢٠٣) ضمن حديث طويل لحذيفة .

(٣٠) **حديث ضعيف** : وله إسنادان : الأول : من طريق زيادة بن محمد عن محمد بن كعب القرظى عن فضالة بن عبيد عن أبى الدرداء : أخرجه أبوداود (٣٨٩٢) والنسائى فى عمل اليوم والليلة (١٠٣٧) والحاكم (٣٤٤/١) والبيهقى فى الأسماء والصفات ص (٤٢٣) والدارمى فى الرد على الجهمية (٧٠) وابن قدامة فى العلو (١٨) وإسناده ضعيف جداً فزياد بن محمد الأنصارى متروك كما فى التقريب وذكر الحافظ الذهبى فى الميزان (٩٨/٢) أنه انفرد بهذا الحديث . وعقب على تصحيح الحاكم لهذا الحديث بقوله : « زيادة قال فيه البخارى وغيره : منكر الحديث » وفى العلو ص(٢٧) « زيادة لين الحديث » .

الثانى : رواه أحمد (٢٠/٦ ، ٢١) من طريق أبى بكر بن أبى مريم عن الأشياخ عن فضالة ابن عبيد الأنصارى قال علمنى رسول الله ﷺ رقيه وأمرنى أن أرق بها ... فذكره .

وإسناده ضعيف ففيه جهالة وضعف : أما الجهالة ففى قوله : عن الأشياخ وأما الضعف فأبوبكر بن أبى مريم ضعيف مختلط .

وقوله ﷺ للجارية: « أَيْنَ ٱللهُ؟ » قالت: فى السماء . قال: « اعْتِقْهَا فإنَّها مُؤْمِنَة » رواه مسلم فى قصة معاوية بن الحكم(٣١) .

وقوله ﷺ لحصين بن عبيد الخزاعى والد عمران بن حصين : « اتْرُك السِّتَّة واعْبُد الَّذِى فى السَّماء » هذا هو اللَّفظ الذى ذكره المؤلف وذكره فى الإصابة من رواية ابن خزيمة فى قصة إسلامه بلفظ غير هذا وفيه إقرار النبى ﷺ لحصين حين قال « سِتَّة فى الأَرْضِ وَوَاحِدَاً فى السَّمَاء »(٣٢) .

وأجمع السلف على ثبوت علو الذات لله وكونه فى السماء فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل .

وقد أنكر أهل التعطيل كون الله بذاته فى السماء وفسَّروا معناها أَنَّ فى السَّماء مُلْكه وَسُلْطانه ونحوه ونرد عليهم بما سبق فى القاعدة الرابعة .

وبوجه رابع : أن ملك الله وسلطانه فى السماء وفى الأرض أيضاً .

وبوجه خامس : وهو دلالة العقل عليه لأنه صفة كمال .

---

(٣١) مسلم : كتاب الجنائز ومواضع الصَّلاة : باب تحريم الكلام فى الصَّلاة ونسخ ما كان من إباحته (٥٣٧) (٣٣) من حديث معاوية بن الحكم السلمى .

(٣٢) **حديث ضعيف** : أخرجه أبن قدامة فى العلو (١٩) ومن طريقه الذهبى فى العلو للعلى الغفار ص (٢٣ ، ٢٤) من طريق رجاء بن محمد البصرى حدثنا عمران بن خالد بن طليق حدثنى أبى عن أبيه عن جده ... مطولاً .

وقال الذهبى : « عمران – يعنى ابن خالد – ضعيف » .

والحديث فى إسناده خالد بن طليق قال فيه الدراقطني : « ليس بالقوى » كما فى لسان الميزان لابن حجر (٣٧٩/٢)

والحديث رواه ابن خزيمة فى التوحيد ص (١٢٠ ، ١٢١) عن رجاء به وكذا عزاه ابن حجر فى الإصابة (٣٧٧/١) كما ذكر الشيخ العثيمن حفظه الله .

وبوجه سادس : وهو دلالة الفطرة عليه لأن الخلق مفطورون على أن الله فى السماء .

معنى كون الله فى السماء :

المعنى الصحيح لكون الله فى السماء أن الله تعالى على السماء ففى بمعنى علىٰ وليست للظرفيه لأن السماء لا تحيط بالله أو إنه فى العلو فالسماء بمعنى العلو وليس المراد بها السماء المبنية .

تنبيــه : ذكر المؤلف - رحمه الله - أنه نقل عن بعض الكتب المتقدمة أن من علامات النبى ﷺ وأصحابه أنهم يسجدون بالأرض ويزعمون أن إلٰههم فى السماء وهذا النقل غير صحيح لأنه لا سند له(٣٣) ولأن الإيمان بعلو الله والسجود له لايختصان بهذه الأمة وما لا يختص لايصح أن يكون علامة ولأن التعبير بالزعم فى هذا الأمر ليس بمدح لأن أكثر ما يأتى الزعم فيما يُشَكُّ فيه .

* * *

[٢٠] سئل الإمام مالك بن أنس رحمه الله فقيل : يا أبا عبدالله :

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾

[طه : ٥]

(٣٣) ورد ذلك ضمن أثر أخرجه ابن قدامة فى العلو (٢١) بإسناده إلى عدى بن عميرة بن فروة المعبدى والقصة فى الإصابة (٢/٤٧٠) فى ترجمة عدى بن عميرة وذكرها الذهبى فى العلو ص(٢٥) وقال : « هذا حديث غريب » .

كيف استوى ؟ فقال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة . ثم أمر بالرجل فأخرج »[٣٤] .

..... الشـــرح .....

جواب الإمام مالك بن أنس بن مالك وليس أبوه أنس بن مالك الصحابى بل غيره وكان جد مالك من كبار التابعين وأبو جده من الصحابة . ولد مالك سنة ٩٣هـ بالمدينة ومات فيها سنة ١٧٩هـ وهو فى عصر تابعى التابعين .

سُئِلَ مالك فقيل : يا أبا عبدالله

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥]

كيف استوى فقال رحمه الله : « الاستواء غير مجهول » أى معلوم المعنى وهو العلو والاستقرار « والكيف غير معقول » أى كيفية الاستواء غير مدركة بالعقل لأن الله تعالى أعظم وأجل من أن تدرك العقول كيفية صفاته « والإيمان به » أى الاستواء « واجب » لوروده فى الكتاب والسنة « والسؤال عنه » أى عن الكيف « بدعة » لأن السؤال عنه لم يكن فى عهد النبى ﷺ وأصحابه . ثم أمر بالسائل فأخرج من المسجد خوفاً من أن يفتن الناس فى عقيدتهم وتعزيراً له بمنعه من مجالس العلم .

* * *

---

(٣٤) **أثر صحيح** : أخرجه ابن قدامة فى العلو (١٠٤) والذهبى فى العلو ص (١٤١ ، ١٤٢) وأبونعيم فى الحلية (٦/٣٢٥ ، ٣٢٦) وعثمان بن سعيد الدارمى فى الرد على الجهمية ص (٥٥) واللالكائى فى شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٦٦٤) وأبوعثمان الصابونى فى عقيدة السلف (٢٤-٢٦) والبيهقى فى الأسماء والصفات ص(٤٠٨) من طرق يقوى بعضها بعضاً وصححه الذهبى فى العلو وكذا قواه الألبانى فى مختصره للعلو وقال الحافظ فى الفتح (١٣/٤٠٦ ، ٤٠٧) : « وأخرج البيهقى بسندٍ جيد عن عبدالله بن وهب به .. فذكره » .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية فى مجموع الفتاوى (٥/٣٦٥) بعد أن ذكر قول مالك : « ومثل هذا الجواب ثابت عن ربيعة شيخ مالك » أ.هـ .

فصـــل

كلام الله تعالى

[٢١] ومن صفات الله تعالى ، أنه متكلم بكلام قديم ، يُسْمِعُهُ منه من شاء من خلقه ، سمعه موسى عليه السلام منه من غير واسطة ، وسمعه جبريل عليه السلام ، ومن أذن له من ملائكته ورسله .

[٢٢] وأنه سبحانه يكلم المؤمنين فى الآخرة ويكلمونه ، ويأذن لهم فيزورونه ، قال الله تعالى :

﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾

[النساء : ١٦٤]

وقال سبحانه :

﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى ﴾

[الأعراف : ١٤٤]

وقال سبحانه :

﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾

[البقرة : ٢٥٣]

وقال سبحانه :

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ ﴾

[الشورى : ٥١]

وقال سبحانه :

﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴾

[طه : ١١ ، ١٢]

وقال سبحانه :

﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى ﴾

[طه : ١٤]

وغير جائزٍ أن يقول هذا أحد غير الله .

[٢٣] وقال عبدالله بن مسعود رضى الله عنه : « إِذَا تَكَلَّم ٱللهُ بالوَحْى ، سَمِع صَوْتَه أَهْلُ السَّماء » روى ذلك عن النبى ﷺ .

[٢٤] وروى عبدالله بن أنيسٍ عن النبى ﷺ أنه قال : « يَحْشُرُ الله الخلائق يَوْم القيامة عُرَاةً حُفَاةً غُرلاً بُهْمَاً ، فَيُنَادِيهم بِصَوتٍ يَسْمَعُه مَنْ بَعُد كما يَسْمَعُه مَنْ قَرُب : أَنا المَلِك ، أَنا الدَّيان » . رواه الأئمة واستَشْهَد به البخارى .

[٢٥] وفى بعض الآثار : « أن موسى عليه السلام ليلة رأى النار فهالته ففزع منها ، فناداه ربه : ياموسى ، فأجاب سريعاً استئناساً بالصوت ، فقال : لبيك لبيك ، أسمع صوتك ولا أرى مكانك ، فأين أنت ؟ فقال : أنا فوقك وأمامك وعن يمينك وعن شمالك . فعلم أن هذه الصفة لا تنبغى إلا لله تعالى . قال : كذلك أنت يا إلهى ، أفكلامك أسمع ، أم كلام رسولك ؟ قال : بل كلامى يا موسى » .

..... الشـــرح .....

الصفـة الخامسة عشرة : الكـلام :

الكلام صفة من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف .

قال الله تعالى :

﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾

[النساء : ١٦٤]

﴿ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ ﴾

[البقرة : ٢٥٣]

وقال النبى ﷺ : « إِذَا أَرَادَ ٱللهُ أَنْ يُوحِي بِأَمْرِه تَكَلَّمَ بالوحىْ » أخرجه ابن خزيمة وابن جرير وابن أبى حاتم(٣٥) .

وأجمع السلف على ثبوت الكلام لله فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل . وهو كلام حقيقى يليق بالله يتعلق بمشيئته بحروف وأصوات مسموعة .

● والدليل على أنه بمشيئته قوله تعالى :

﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ [الأعراف : ١٤٣]

فالتكليم حصل بعد مجىء موسى فدل على أنه متعلق بمشيئته تعالى .

المخالفون لأهل السنة فى كلام الله تعالى(٣٦) :

خالف أهل السنة فى كلام الله طوائف نذكر منهم طائفتين :

الطائفة الأولى : الجهمية ، قالوا ليس الكلام من صفات الله وإنما هو خلق من مخلوقات الله يخلقه الله فى الهواء أو فى المحل الذى يسمع منه وإضافته إلى الله إضافة خلق أو تشريف مثل ناقة الله وبيت الله . ونرد عليهم بما يلى :

١ - إنه خلاف إجماع السلف .

٢ - خلاف المعقول لأن الكلام صفة للمتكلم وليس شيئاً قائماً بنفسه منفصلاً عن المتكلم .

---

(٣٥) سيأتى تخريجه ص (٧٦) .

(٣٦) راجع : فصل : كشف تلبيس الجهمية المعتزلة فى كلام الله تعالى وفصل : كشف تلبيس الأشعرية فى إثبات صفة الكلام لله تعالى .

من كتاب العقيدة السلفية فى كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية لأخينا الفاضل عبدالله بن يوسف الجديع كرمه الله فقد أجاد فيه وأجاد .

٣ - إن موسى سمع الله يقول :

﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي ﴾ [طه : ١٤]

ومحال أن يقول ذلك أحد إلا الله سبحانه وتعالى .

الطائفة الثانية : الأشعرية ، قالوا كلام الله معنى قائم بنفسه لا يتعلق بمشيئته وهذه الحروف والأصوات المسموعة مخلوقة للتعبير عن المعنى القائم بنفس الله ونرد عليهم بما يلى :

١ - إنه خلاف إجماع السلف .

٢ - خلاف الأدلة لأنها تدل على أن كلام الله يسمع ولا يسمع إلا الصوت لا يسمع المعنى القائم بالنفس .

٣ - خلاف المعهود لأن الكلام المعهود هو ما ينطق به المتكلم لا مايضمره فى نفسه .

● والدليل على أنه حروف قوله تعالى :

﴿ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴾ [طه : ١١ ، ١٢]

فإن هذه الكلمات حروف وهى كلام الله .

● والدليل على أنه بصوت قوله تعالى :

﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ﴿٥٢﴾ ﴾

[مريم : ٥٢]

والنداء والمناجاة لا تكون إلا بصوت . وروى عبدالله بن أنيس عن النبى ﷺ أنه قال : « يَحْشُرُ الله الخَلَائِق فَينَاديهم بِصَوْتٍ يَسْمَعُه مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُه مَنْ قَرُبَ : أَنَا المَلِكُ أَنَا الدَّيان » ، علقه البخارى بصيغة التمريض ، قال فى الفتح

وأخرجه المصنف فى الأدب المفرد وأحمد وأبويعلى فى مسنديهما وذكر له طريقين آخرين[٣٧] .

وكلام الله تعالى قديم النوع حادث الأحاد ومعنى قديم النوع إن الله لم يزل ولا يزال متكلماً ليس الكلام حادثاً منه بعد أن لم يكن ، ومعنى حادث الآحاد أن آحاد كلامه أى الكلام المعين المخصوص حادث لأنه متعلق بمشيئته متى شاء تكلم بما شاء كيف شاء .

تعليق على كلام المؤلف فى فصل الكلام :

قوله : « متكلم بكلام قديم » يعنى قديم النوع حادث الآحاد لا يصلح إلا هذا المعنى على مذهب أهل السنة والجماعة وإن كان ظاهر كلامه إنه قديم النوع والآحاد .

قوله : « سمعه موسى من غير واسطة » لقوله تعالى :

﴿ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴾ [طه : ١٣]

قوله « وسمعه جبريل » لقوله تعالى :

﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ ﴾ [النحل : ١٠٢]

---

(٣٧) **حديث حسن** : علّقه البخارى فى صحيحه فى موضعين أحدهما بصيغه الجزم (١٧٣/١) وبصيغه التمريض (٤٥٣/١٣) .

ووصله فى كتابه الأدب المفرد (٩٧٠) وكتابه خلق أفعال العباد (ص١٣١) .

وكذا الإمام أحمد فى مسنده (٤٩٥/٣) والبيهقى فى الأسماء والصفات ص(٧٨ ، ٧٩) وابن أبى عاصم فى السنة ص(٥١٤) والحاكم فى المستدرك (٤٣٧/٢-٥٧٤/٤ ، ٥٧٥) وصححه ووافقه الذهبى ، وقواه الحافظ فى الفتح (١٧٤/١) وذكر له أكثر من طريق وقال عن أحدها أنه « صالح » وراجع التعليق له (٣٥٣/٥)

وقال الألبانى فى تخريج السنة (٥١٤) : « حديث صحيح » .

وأورده ابن قدامة فى كتابه البرهان فى بيان القرآن ص(٨٦) .

قوله « ومن أذن له من ملائكته ورسله » أما الملائكة فلقوله ﷺ : « وَلَكِنَّ رَبُّنا إذَا قَضَىٰ أَمْرَاً سَبَّحَ حَمَلَةَ العَرْشِ ثمَّ يُسبّحُ أَهْلُ السَّماء الَّذين يَلُونَهُم حتَّى يَبْلُغ التَّسبيح أَهْلَ السَّماء الدُّنيا فيقول الَّذين يَلُون حَمَلة العَرْش لِحَمَلة العَرْش ﴿ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ﴾[سبأ:٢٣] فَيُخْبِرُونَهم » الحديث رواه مسلم[٣٨] وأما الرسل فقد ثبت أن الله كلم محمداً ﷺ ليلة المعراج .[٣٩]

قوله « وإنه سبحانه يكلم المؤمنين ويكلمونه » لحديث أبى سعيد الخدرى أن النبى ﷺ قال : « يَقُولُ الله لِأَهْلِ الجنَّة: يا أَهْلَ الجَنَّة فَيَقُولونَ لَبَّيك رَبَّنا وَسَعْديك » ، الحديث متفق عليه .[٤٠] .

قوله : « ويأذن لهم فيزورونه » لحديث أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : « إن أَهْلَ الجَنَّة إذَا دَخَلُوا فيها نَزَلُوا بِفَضْلِ أَعْمَالِهم ثُمَّ يُؤْذَنُ لَهُم فى مِقْدَارِ يَوْم الجُمعة من أيَّام الدُّنيا فَيَزُورون رَبَّهم ... » الحديث رواه ابن ماجه والترمذى وقال غريب وضعفه الألبانى .[٤١]

---

(٣٨) مسلم : كتاب السلام : باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان (٢٢٢٩) (١٢٤) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما .

(٣٩) كما فى الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضى الله عن مالك بن صعصعة : البخارى (٣٢٠٧) ، (٣٨٨٧) ومسلم (١٦٤) (٢٦٤) .

(٤٠) البخارى : كتاب الرقاق : باب قوله عز وجل ﴿ إن زلزلة الساعة شيء عظيم ﴾ (٦٥٣٠) .

ومسلم : كتاب الإيمان : باب قوله يقول الله لآدم أخرج بعث النار ... (٢٢٢) (٣٧٩) . من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه .

(٤١) **حديث ضعيف** : جزء من حديث طويل رواه الترمذى (٢٥٥٢) وابن ماجة (٤٣٣٦) وفى إسناده عبدالحميد بن حبيب بن أبى العشرين كاتب الأوزاعى قال فى التقريب ص(٣٣٣) : « صدوق ربما أخطأ قال أبوحاتم : كان كاتب ديوان ولم يكن صاحب حديث » . ولذا ضعفه الترمذى بقوله : « هذا حديث غريب » يعنى ضعيف .

وقوله : « وقال ابن مسعود إذا تكلم الله بالوحى سمع صوته أهل السماء وروى ذلك عن النبى ﷺ » أثر ابن مسعود لم أجده بهذا اللفظ وذكر ابن خزيمة طرقه فى كتاب التوحيد بألفاظ منها « سَمِعَ أَهْلُ السَّموات لِلسَّمٰوات صَلْصَلَة » وأما المروى عن النبى ﷺ فهو من حديث النواس ابن سمعان مرفوعاً « إِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يُوحِى بِأَمْرِه تَكَلَّمَ بِالْوَحْى فَإِذَا تكلّم أَخَذَتِ السَّمٰوَاتُ مِنْه رَجْفَة أو قَال رَعْدة شَدِيدة مِنْ خَوْفِ الله فإذا سَمِعَ ذَٰلِكَ أَهْلُ السَّمٰوَاتِ صعقُوا ... » الحديث . رواه ابن خزيمة وابن أبى حاتم .(٤٢) .

* * *

---

(٤٢) **حديث صحيح** : وقد ورد عن ابن مسعود موقوفاً ومرفوعاً :

ـــ أما الموقوف : فعلقه البخارى فى صحيحه (٤٥٣/١٣ - فتح) وقد وصله ابن خزيمة فى التوحيد ص (١٤٦ ، ١٤٧) وابن جرير (٩٠/٢٢) وعبدالله بن أحمد فى السنة (٥٣٧) والبيهقى فى الأسماء والصفات (ص٢٠١) وغيرهم من طريق أبى الضحى عن مسروق عن عبدالله به موقوفاً بلفظ : « إن الله إذا تكلم بالوحى ، سمع أهل السموات للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون ... » وسنده صحيح وفى لفظ آخر عند عبدالله بن أحمد فى السنة (٥٣٦) : « إذا تكلم الله عز وجل بالوحى سمع صوته أهل السماء » الحديث . وعزاه ابن قدامة فى البرهان فى بيان القرآن ص (٨٤ ، ٨٥) لعبدالله بن أحمد فى الرد على الجهمية قال : قلت ياأبت إن الجهمية يزعمون أن الله لايتكلم بصوت فقال كذبوا إنما يدورون على التعطيل ثم قال حدثنى عبدالرحمن بن محمد المحاربى عن الأعمش عن أبى الضحى عن مسروق عن عبدالله بن مسعود قال فذكره وإسناده جيد . وقد عزاه شيخ الإسلام فى درء تعارض العقل والنقل (٣٨/٢) للخلال عن يعقوب بن بختان عن أحمد .

ـــ وأما المرفوع : فأخرجه أبوداود (٤٧٣٨) وابن خزيمة فى التوحيد (٩٥،٩٦) والبيهقى فى الأسماء والصفات ص (٢٠٠) عن أبى معاوية عن الأعمش عن مسلم بن صبيح عن مسروق عن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ « إذا تكلم الله بالوحى سَمِع أَهْلُ السَّماء صلصلة كجر السَّلسلة »

وقال الألبانى فى الصحيحة (١٢٩٣) : « وإسناده صحيح على شرط الشيخين » ثم قال : والموقوف وإن كان أصح من المرفوع - ؛ ولذلك علقه البخارى فى صحيحه - فإنه لايعل المرفوع ، لأنه لايقال من قبل الرأى كما هو ظاهر » ثم ذكر له شاهداً من حديث أبى هريرة عند البخارى (٤٧٠١) (٤٨٠٠) . =

فصـــل

القرآن كلام الله

[٢٦] ومن كلام الله سبحانه القرآن العظيم وهو كتاب الله المبين وحبله المتين ، وصراطه المستقيم وتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين ، بلسانٍ عربي مبين ، منزل غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود .

[٢٧] وهو سور محكمات ، وآيات بيناتٍ ، وحروف وكلمات ، من قرأه فأعربه ، فله بكل حرف عشر حسنات له أول وآخر ، وأجزاء وأبعاض ، متلوٌّ بالألسنة ، محفوظ فى الصدور ، مسموع بالآذان ، مكتوب فى المصاحف ، فيه محكم ومتشابه ، وناسخ ومنسوخ ، وخاص وعام ، وأمر ونهى

﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾

[فصلت : ٤٢]

وقوله تعالى :

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾

[الإسراء : ٨٨]

= قلت : وأيضاً من حديث ابن عباس عند مسلم (٢٢٢٩) ، وأحمد (١/٢١٨) والترمذى (٣٢٧٧) وأيضاً : حديث النواس بن سمعان الذى أشار إليه الشيخ العثيمين وهو عند البيهقى فى الأسماء والصفات ص (٢٦٣ ، ٢٦٤) والطبرانى كما فى المجمع (٧/٩٤ ، ٩٥) وقال الهيثمى : « رواه الطبرانى عن شيخه يحيى بن عثمان بن صالح وقد وثق وتكلم فيه من لم يسم بغير قادح معين وبقيه رجاله ثقات » أ.هـ .

..... الشـــرح .....

القـول فى القرآن :

القرآن الكريم من كلام الله تعالى منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود فهو كلام الله حروفه ومعانيه . دليل أنه من كلام الله قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾

[التوبة : ٦]

يعنى القرآن .

ودليل أنه مُنَزَّل قوله تعالى :

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ﴾

[الفرقان : ١]

ودليل أنه غير مخلوق قوله تعالى :

﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾

[الأعراف : ٥٤]

فجعل الأمر غير الخلق والقرآن من الأمر لقوله تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾

[الشورى : ٥٢]

﴿ ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ ﴾

[الطلاق : ٥]

ولأن كلام الله صفة من صفاته وصفاته غير مخلوقة .

ودليل أنه منه بدأ ، أن الله أضافه إليه ولا يضاف الكلام إلا إلى من قاله مبتدئاً .

ودليل أنه إليه يعود أنه ورد فى بعض الآثار « أنه يرفع من المصاحف والصدور فى آخر الزمان »[٤٣] .

* * *

[٢٨] وهذا هو الكتاب العربى الذى قال فيه الذين كفروا :

﴿ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾

[سبأ : ٣١]

وقال بعضهم :

﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴾

[المدثر : ٢٥]

فقال الله سبحانه :

﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾

[المدثر : ٢٦] .

وقال بعضهم : هو شِعْرٌ ، فقال الله تعالى :

﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴾

[يس : ٦٩]

فلما نفى الله عنه أنه شِعْرٌ وأثبته قرآناً لم يبق شبهة لِذِى لُبٌّ فى أن القرآن هو هذا الكتاب العربى الذى هو كلمات وحروف وآيات. ، لأن ما ليس كذلك لا يقول أحد : إنه شِعْرٌ .

---

(٤٣) وقد صح الحديث عن رسول الله ﷺ بذلك كما فى حديث حذيفة مرفوعاً : « ... وليسرى على كتاب الله عز وجل فى ليلة فلا يبقى فى الأرض منه آية ... » الحديث .

رواه ابن ماجة (٤٠٤٩) والحاكم (٤/٤٧٣) وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى وقال الألبانى فى الصحيحة (٨٧) : « وهو كما قالا » .

وكذا صح موقوفاً من حديث أبى هريرة وابن مسعود وراجع لذلك العقيدة السلفية فى كلام رب البرية ص (١٧٣ ، ١٧٤) .

[٢٩] وقال عز وجل :

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾

[البقرة : ٢٣]

ولا يجوز أن يتحداهم بالإتيان بمثل ما لا يدرى ما هو ولا يعقل .

[٣٠] وقال تعالى :

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ۙ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي ﴾

[يونس : ١٥]

فأثبت أن القرآن هو الآيات التى تتلىٰ عليهم .

[٣١] وقال تعالى :

﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ۚ ﴾

[العنكبوت : ٤٩]

وقال تعالى :

﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾

[الواقعة : ٧٧-٧٩]

بعد أن أقسم على ذلك .

[٣٢] وقال تعالى :

﴿ كهيعص ﴾

[مريم : ١]

﴿ حم ﴿١﴾ عسق ﴾

[الشورى : ١]

وافتتح تسعاً وعشرين سورة بالحروف المقطعة .

[٣٣] وقال النبى ﷺ : « مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ فَأَعْرَبَهُ ، فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ عَشْر حَسَنَاتٍ ، وَمَنْ قَرَأَهُ وَلَحَنَ فِيهِ فَلَهُ بِكُل حَرْفٍ حَسَنَة » . حديث صحيح(٤٤) .

[٣٤] وقال عليه الصلاة والسلام : « اقْرَأُوا القُرْآنَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِى قَوْمٌ يُقِيمُون حُرُوفه إقَامَ السَّهم لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهم ، يَتَعَجَّلُون أَجْرَهُ وَلَا يَتَأَجَّلُونه »(٤٥) .

---

(٤٤) **حديث ضعيف جداً** : أخرجه الطبرانى فى الأوسط كما فى مجمع الزوائد (١٦٣/٧) عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أعربوا القرآن ، فإن من قرأ القرآن فأعربه ، فله عشر حسنات ، وكفارة عشر سيئات ، ورفع عشر درجات » وقال الهيثمى وفيه نهشل وهو متروك . ونهشل هو ابن سعيد بن وردان الوردانى متروك وقد كذبه إسحاق بن راهوية .

وكذا أورد الحديث ابن قدامة فى البرهان ص (٣٨ ، ٣٩) ثم قال : حديث صحيح !!

والحق أنه حديث ضعيف جداً . وقد ورد فى فضل قراءة القرآن عن ابن مسعود حديث آخر قريب من هذا بلفظ : « من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، ولا أقول ألم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » أخرجه الترمذى (٢٩١٠) مرفوعاً وصوب الأخ الكريم عبدالله بن يوسف وقفه على ابن مسعود فى بحث فريد فى تذيله على كتاب « الرد على من يقول (آلمّ) حرف » لابن منده فجزاه الله خيراً .

(٤٥) **حديث صحيح** : أخرجه أحمد (٣٣٨/٥) وأبوداود (٨٣١) وابن حبان (١٨٧٦ - موارد) وفى إسناده ضعف ففيه وفاء بن شريح الصدفى مقبول - كما فى التقريب - يعنى حيث يتابع وإلا فلين الحديث .

إلا أن الحديث له شواهد يتقوى بها : منها حديث جابر بن عبدالله عند أحمد (٣٩٧/٣) وأبوداود (٨٣٠) وإسناده صحيح كما قال الألبانى فى الصحيحة (٢٥٩) .

والحديث أورده ابن قدامة فى البرهان ص (٣٥ ، ٣٦) من حديث سهل بن سعد .

• الترقوه : الحلقوم .

[**٣٥**] وقال أبوبكر وعمر رضى الله عنهما : « إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه »[٤٦] .

[**٣٦**] وقال على رضى الله عنه : « من كفر بحرفٍ منه فقد كفر به كله »[٤٧] .

[**٣٧**] واتفق المسلمون على عد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه .

[**٣٨**] ولا خلاف بين المسلمين فى أن من جحد من القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرفاً متفقاً عليه أنه كافر ، وفى هذا حجة قاطعة على أنه حروف .

.... الشـــــرح .....

---

(٤٦) **أثر ضعيف جداً** : أخرجه ابن الأنبارى فى الوقف والابتداء (٢٠/١) بلفظ « لبعض إعراب القرآن أعجب إلينا من حفظ بعض حروفه » وإسناده ضعيف جداً فيه ضعف وانقطاع فيه جابر بن يزيد الجعفى وهو ضعيف وكذا شريك القاضى صدوق يخطىء كثيراً وتغير حفظه وانقطاع بين أبى بكر وعمر وبين الراوى عنهما . عن تعليق بدر البدر على اللمعة ص (١٩) .

وأورده ابن قدامة فى البرهان ص (٤٤) .

(٤٧) أخرجه ابن أبى شيبة (٥١٣/١٠، ٥١٤) وابن جرير فى تفسيره (٥٦) من طريق شعيب بن الحبحاب قال : كان أبوالعالية إذا قرأ عنده رجل لم يقل : ليس كما يقرأ ، وإنما يقول : أما أنا فأقرأ كذا وكذا ، قال فذكرت ذلك لإبراهيم النخعى فقال : أرى صاحبك قد سمع : « أن من كفر بحرفٍ منه ، فقد كفر به كله » وإسناده صحيح .

وقد أورده ابن قدامة فى البرهان ص (٤٥) وأورد أثراً آخر عن على أنه سئل عن الجنب ، هل يقرأ القرآن ؟ قال « ولا حرفاً » .

قلت : هو عند ابن أبى شيبة فى مصنفه (١٠٢/١) .

القــرآن حروف وكلمــات :

القرآن حروف وكلمات وقد ذكر المؤلف - رحمه الله - لذلك أدلة ثمانية :

١ - أن الكفار قالوا إنه شعر ولا يمكن أن يوصف بذلك إلا ما هو حروف وكلمات[٤٨] .

٢ - أن الله تحدى المكذبين به أن يأتوا بمثله ولو لم يكن حروفاً وكلمات لكان التحدى غير مقبول إذ لا يمكن التحدى إلا بشىء معلوم يدرى ما هو .

٣ - أن الله أخبر بأن القرآن يتلى عليهم

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ﴾

[يونس : ١٥]

ولايتلى إلا ما هو حروف وكلمات .

٤ - أن الله أخبر بأنه محفوظ فى صدور أهل العلم ومكتوب فى اللوح المحفوظ

﴿ بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾

[العنكبوت : ٤٩]

﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾

[الواقعة : ٧٧-٧٩]

---

(٤٨) قال ابن قدامة فى البرهان ص (٢٧) : « ومن المعلوم أنما عنوا هذا النظم ؛ لأن الشعر كلام موزون ، فلا يسمى به معنى ، ولا ماليس بكلام ، فسماه الله تبارك وتعالى ذكراً وقرآنا مبينا » أ.هـ .

وراجع الأدلة من الكتاب والسنة والاجماع على أن القرآن حروف وكلمات فى البرهان فى بيان القرآن لابن قدامة ص (٢٦ : ٨٣) .

ولا يحفظ ويكتب إلا ما هو حروف وكلمات .

٥ – قول النبى ﷺ : « مَنْ قَرَأَ القُرآن فَأَعرَبَهُ فَلَهُ بكل حرْفٍ مِنْهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ وَمَنْ قَرَأَهُ وَلَحَنَ فِيهِ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ حَسَنَة » : صححه المؤلف ولم يعزه ولم أجد من خرجه(٤٩) .

٦ – قول أبى بكر وعمر : « إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه .

٧ – قول على رضى الله عنه : « من كفر بحرف منه فقد كفر به كله » .

٨ – إجماع المسلمين – كما نقله المؤلف – على أن من جحد منه سورة أو آية أو كلمة أو حرفاً متفقاً عليه فهو كافر(٥٠) .

وعدد سور القرآن (١١٤) منها (٢٩) افتتحت بالحروف المقطعة .

أوصـــاف القــرآن :

وصف الله القرآن الكريم بأوصاف عظيمة كثيرة ذكر المؤلف منها ما يلى :

١ – أنه كتاب الله المبين أى المفصح عما تضمنه من أحكام وأخبار .

٢ – إنه حبل الله المتين أى العهد القوى الذى جعله الله سبباً للوصول إليه والفوز بكرامته .

٣ – إنه سور محكمات أى مفصل السور كل سورة منفردة عن الأخرى والمحكمات المتقنات المحفوظات من الخلل والتناقض .

٤ – إنه آيات بينات أى علامات ظاهرات على توحيد الله وكمال صفاته وحسن تشريعاته .

---

(٤٩) وقد تقدم أنه غير صحيح وأنه حديث ضعيف جداً عزاه الهيثمى فى المجمع للطبرانى فى الأوسط وفيه نهشل بن سعيد متروك .

(٥٠) راجع : البرهان لابن قدامة ص (٤٩ : ٥١) ونقل ابن قدامة الاجماع على ذلك وفى أمور كثيرة تتعلق بذلك .

٥ - إن فيه محكماً ومتشابهاً فالمحكم ما كان معناه واضحاً والمتشابه ما كان معناه خفياً ولا يعارض هذا ما سبق برقم (٣) لأن الإحكام هناك بمعنى الاتقان والحفظ من الخلل والتناقض وهنا بمعنى وضوح المعنى ، وإذا رددنا المتشابه هنا إلى المحكم صار الجميع محكماً .

٦ - إنه حق لايمكن أن يأتيه الباطل من أى جهة :

﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾

[فصلت : ٤٢]

٧ - إنه برىء مما وصفه به المكذبون به من قولهم إنه شعر :

﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴾

[يس : ٦٩]

وقول بعضهم

﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴾

[المدثر : ٢٤]

﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴾

[المدثر : ٢٥]

فقال الله متوعداً هذا القائل :

﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾

[المدثر : ٢٦] .

٨ - إنه معجز لايمكن لأحد أن يأتى بمثله وإن عاونه غيره :

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾

[الإسراء : ٨٨]

* * *

فصـل

رُؤْيَةُ المُؤمِنِينَ لِرَبِّهِم يَوْمَ القِيَامَةِ

[٣٩] والمؤمنون يرون ربهم فى الآخرة بأبصارهم ويزورونه ويكلمهم ويكلمونه ، قال الله تعالى :

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢ ، ٢٣]

وقال تعالى :

﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾

[المطففون : ١٥]

[٤٠] فلما حجب إولئك فى حال السخط ، دَلَّ على أَنَّ المؤمنين يرونه فى حال الرضى ، وإلا لم يكن بينهما فرق .

[٤١] وقال النبى ﷺ : « إِنَّكم تَرَوْنَ رَبَّكُم كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ لا تُضَامُّون فى رُؤْيَتِه » . حديث صحيح متفق عليه[٥١] .

---

(٥١) البخارى : كتاب مواقيت الصلاة : باب فضل صلاة الفجر (٥٧٣) .

ومسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة : باب فضل صلاتى الصبح والعصر والمحافظة عليهما (٦٣٣) (٢١١) من حديث جرير بن عبدالله رضى الله عنه .

وأحاديث الرؤية متواترة كما نص على ذلك غير واحد من أهل العلم منهم : ابن القيم فى حادى الأرواح ص (٢٧٧) وابن ابى العز فى شرح الطحاوية (٢١٥/١) والحافظ ابن حجر فى فتح البارى (٢٠٣/١) .

وراجع ما صنف فى هذه المسألة مثل : التصديق بالنظر إلى الله تعالى فى الآخرة للآجرى وضوء السارى إلى معرفة رؤية البارى لأبى شامة المقدسى وكلاهما مطبوع .

[٤٢] وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية لا للمرئى بالمرئى ، فإن الله تعالى لا شبيه له ولا نظير .

..... الشـــرح .....

رؤيـة الله فى الآخـرة :

. رؤية الله فى الدنيا مستحيلة لقوله تعالى لموسى وقد طلب رؤية الله :

﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾

[الأعراف : ١٤٣]

ورؤية الله فى الآخرة ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف .

قال الله تعالى :

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾

[القيامة : ٢٢ ، ٢٣]

وقال :

﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾

[المطففون : ١٥]

فلما حجب الفجار عن رؤيته دل على أن الأبرار يرونه وإلا لم يكن بينهما فرق .

وقال النبى ﷺ: « إنكم ستَرَوْنَ رَبَّكُم كما تَرَوْنَ القَمَر لا تضامُّون فى رُؤْيته » ، متفق عليه وهذا التشبيه للرؤية بالرؤية لا للمرئى بالمرئى لأن الله ليس كمثله شىء ولا شبيه له ولا نظير .

وأجمع السلف على رؤية المؤمنين لله تعالى دون الكفار بدليل الآية الثانية .

يرون الله تعالىٰ فى عُرصات القيامة وبعد دخول الجنة كما يشاء الله تعالى .

وهى رؤية حقيقية تليق بالله .

وفسرها أهل التعطيل بأن المراد بها رؤية ثواب الله أو أن المراد بها رؤية العلم واليقين ونرد عليهم باعتبار التأويل الأول بما سبق فى القاعدة الرابعة وباعتبار التأويل الثانى بذلك وبوجه رابع أن العلم واليقين حاصل للأبرار فى الدنيا وسيحصل للفجار فى الآخرة(٥٢) .

* * *

(٥٢) راجع فى الرّد على المخالفين : حادى الأرواح لابن القيم وشرح الطحاوية لابن أبى العز وكذا حَدِيثاً : دلالة القرآن والأثر على رؤية الله تعالى بالبصر لعبدالعزيز بن زيد الرومى .

فصل

القضاء والقدر

[٤٣] ومن صفات الله تعالى أنه الفعال لما يريد ، لايكون شيء إلا بإرادته ، ولا يخرج شيء عن مشيئته ، وليس فى العالم شيء يخرج عن تقديره ولا يصدر إلا عن تدبيره ، ولا محيد عن القدر المقدور ، ولا يتجاوز ما خط فى اللوح المسطور ، أراد ما العالم فاعلوه، ولو عصمهم لما خالفوه ، ولو شاء أن يطيعوه جميعاً لأطاعوه ، خلق الخلق وأفعالهم ، وقدر أرزاقهم وآجالهم ، يهدى من يشاء بحكمته ، قال الله تعالى :

﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٣]

قال الله تعالى :

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر : ٤٩]

وقال تعالى :

﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان : ٢]

وقال تعالى :

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾ [الحديد : ٢٢]

وقال تعالى :

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ [الأنعام : ١٢٥]

[٤٤] وروى ابن عمر أن جبريل عليه السلام قال للنبى ﷺ : ما الإيمان ؟ قال : « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ ، وَمَلائِكَتِهِ ، وكُتُبِه ، وَرُسُلِهِ ، وَاليومِ الآخِرِ ، والقَدَرِ خِيْرِه وَشَرِّه » . فقال جبريل صَدَقْتَ . رواه مسلم[٥٣] .

[٤٥] وقال النبى ﷺ : « آمَنْتُ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّه وحُلوه ومُرِّه »[٥٤] .

...

[٤٦] ومن دعاء النبى ﷺ الذى علمه الحسن بن على يدعو به فى قُنُوت الوتر : « وَقِنِى شَرَّ مَا قَضَيْتَ »[٥٥] .

---

(٥٣) مسلم : كتاب الإيمان . باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ... (٨) (١) وفى الباب عن أبى هريرة رضى الله عنه : عند البخارى (٥٠) ومسلم (٩) (٥) .

(٥٤) **إسناده ضعيف** : أخرجه الحاكم فى معرفة علوم الحديث (٣١ ، ٣٢) ومن طريقه العراق فى شرحه لألفيته ص (٣٢٧) كمثال للحديث المسلسل بأحوال الرواة القولية والفعلية معاً من طريق يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : لايجد العبد حلاوة الإيمان حتى يؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومره » ورأيت رسول الله ﷺ قبض على لحيته ثم قال : « آمنت بالقدر خيره وشره حلوه ومره » قال وقبض أنس على لحيته فقال : آمنت بالقدر خيره وشره حلوه ومره ... » الحديث . وقال الحاكم بعد أن ساق تسلسل الرواة على هذه الصفة : « وأنا أقول عن نية صادقة وعقيدة صحيحة : آمنت بالقدر خيره وشره حلوه ومره » ويزيد الرقاشى ضعيف كما فى التقريب (٧٦٨٣) بل قال النسائى فيه : متروك وقال أحمد : منكر الحديث كما فى الميزان (٤١٨/٤)

والحديث عزاه الشيخ ياسين الفادانى فى ورقات فى « مجموعة المسلسلات والأوائل الأسانيد العالية » ص (٦، ٧) للديلمى فى مسند الفردوس .

(٥٥) **حديث صحيح** : أخرجه أحمد (١٧٢٣) وأبوداود (١٤٢٥ ، ١٤٢٦) والترمذى (٤٦٤) والنسائى (٢٤٨/٣) وابن ماجة (١١٧٨) وإسناده صحيح وقد صححه الشيخ أحمد شاكر فى تعليقه على سنن الترمذى . =

..... الشـــرح .....

القــــدر :

من صفات الله تعالى أنّه الفعال لما يريد كما قال تعالى :

﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾

[هود : ١٠٧]

فلا يخرج شيء عن إرادته وسلطانه ولا يصدر شيء إلا بتقديره وتدبيره بيده ملكوت السموات والأرض يهدى من يشاء برحمته ويضل من يشاء بحكمته لايسأل عما يفعل لكمال حكمته وسلطانه وهم يُسْألون لأنهم مربوبون محكومون .

والإيمان بالقدر واجب وهو أحد أركان الإيمان الستة لقول النبى ﷺ : الإيمانُ أَنْ تُؤمِنَ بِاَللهِ وَمَلَائِكتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ والَيوم الآخرِ والقَدَرِ خَيْره وَشَرِّه » . رواه مسلم وغيره .

وقال النبى ﷺ: « آمَنْتُ بالقَدَرِ خَيْره وَشَرِّه حُلْوِهِ وَمُرِّه » فالخيْر والشرّ باعتبار العاقبة والحلاوة والمَرَارة باعتباره وقتْ إصَابته . وخَيْرُ القَدَر ما كان نَافِعاً وشَرُّه ما كان ضَارًّا أو مُؤْذِياً .

= * **فائدة مهمة** : قال الشيخ محمد صالح العثيمين فى دروس فتاوى فى الحرم المكى عام ١٤٠٨هـ ص (١٣٦) : فى شرح دعاء القنوت : (وقنا شرَّ مَا قَضَيْت) : الله عز وجل يقضى بالخير ويقضى بالشر . أما قضاؤه بالخير فهو خير محض فى القضاء والمقضى مثال : أن يقضى الله عز وجل للناس بالرزق الواسع والأمن والطمأنينة والهداية والنصر ... إلخ فهذا خير فى القضاء والمقضى . وأما قضاؤه بالشر فهو خير فى القضاء شر فى المقضى ومثال ذلك : القحط وامتناع المطر فهذا شر لكن قضاء الله به خير ، قال تعالى : ﴿ ظَهَر الفَسَادُ فى البرِّ والبَحْرِ بما كَسَبَت أَيْدِى النَّاس لِيذِيقهم بعض الَّذى عَمِلوُا لَعَلَّهم يَرْجعون ﴾ فلهذا القضاء غاية حميدة وهى الرجوع إلى الله تعالى من معصيته إلى طاعته فصار المقضى شراً ، وصار القضاء خيراً .

ونحن نقول « شر ما قضيت » : وما هنا اسم موصول ، أى شر الذى قضيته ، فإن الله تعالى قد يقضى بالشر لحكمة بالغة حميدة » أ.هـ .

والخير والشر هو بالنسبة للمقدور وعاقبته فإن منه ما يكون خيراً كالطاعات والصحة والغنى ومنه ما يكون شراً كالمعاصى والمرض والفقر أما بالنسبة لفعل الله فلا يقال إنه شر لقول النبى ﷺ فى دعاء القنوت الذى علمه الحسن بن على : « وَقِنِى شَرَّ مَاقَضَيْتَ »فَأَضَافَ الشَّرَّ إلى مَا قَضَاهُ لا إلى قَضَائِه .

والإيمان بالقدر لايتم إلا بأربعة أمور :

الأول : الإيمان بأن الله عالم كل ما يكون جملة وتفصيلاً بعلمٍ سابقٍ لقوله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾

[الحج : ٧٠]

الثانى : أن الله كتب فى اللوح المحفوظ مقادير كل شىء لقوله تعالى :

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ ﴾

[الحديد : ٢٢]

أى نخلق الخليقة ولقوله ﷺ : « إِنَّ اللهَ قَدَّر مَقَادِير الخَلْقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ » . رواه مسلم .(٥٦)

الثالث : إنه لايكون شىء فى السموات والأرض إلا بإرادة الله ومشيئته الدائرة بين الرحمة والحكمة يهدى من يشاء برحمته ويضل من يشاء بحكمته لايسأل عما يفعل لكمال حكمته وسلطانه وهم يسألون وما وقع من ذلك فإنه مطابق لعلمه السابق ولما كتبه فى اللوح المحفوظ لقوله تعالى :

﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾

[القمر : ٤٩]

---

(٥٦) مسلم : كتاب القدر : باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام (٢٦٥٣) (١٦) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ولفظ : « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة .. » .

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾

[الأنعام : ١٢٥]

فأثبت وقوع الهداية والضلال بإرادته .

. **الرابع** : أن كل شيء فى السموات والأرض مخلوق لله تعالىٰ لا خالق غيره ولا رب سواه لقوله تعالى :

﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾

[الفرقان : ٢]

وقال على لسان إبراهيم :

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾

[الصافات : ٩٦]

* * *

[٤٧] ولا نجعل قضاء الله وقدره حجة لنا فى ترك أوامره واجتناب نواهيه ، بل يجب أن نؤمن ونعلم أن لله علينا الحجة بإنزال الكتب وبعثة الرسل . قال الله تعالى :

﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾

[النساء : ١٦٥]

..... الشـــــرح .....

القدر ليس حجـة للعاصى على فعل المعصيـة :

أفعال العباد كلها من طاعات ومعاص كلها مخلوقة لله كما سبق ولكن ليس ذلك حجة للعاصى على فعل المعصية وذلك لأدلة كثيرة منها :

١ - إن الله أضاف عمل العبد إليه وجعله كسباً له فقال :

﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [غافر : ١٧]

ولو لم يكن له اختيار فى الفعل وَقُدْرة عليه مانُسِبَ إليه .

٢ - إن الله أمر العبد ونهاه ولم يكلفه إلا مايستطيع لقوله تعالى :

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة : ٢٨٦]

﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن : ١٦]

ولو كان مجبوراً على العمل ما كان مستطيعاً على الفعل أو الكف لأن المجبور لايستطيع التخلص .

٣ - أن كل واحد يعلم الفرق بين العمل الاختيارى والإجبارى وأن الأول يستطيع التخلص منه .

٤ - أن العاصى قبل أن يقدم على المعصية لا يدرى ما قُدِّر له وهو باستطاعته أن يفعل أو يترك فكيف يسلك الطريق الخطأ ويحتج بالقدر المجهول أليس من الأحرى أن يسلك الطريق الصحيح ويقول هذا ما قُدِّر لى ؟ .

٥ - أن الله أخبر أنه أرسل الرسل لقطع الحجة :

﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾

[النساء : ١٦٥]

ولو كان القدر حجة للعاصى لم تنقطع بإرسال الرسل .

* * *

[٤٨] ونعلم أن الله سبحانه وتعالى ما أَمر ونهى إلا المستطيع للفعل والترك ، وأنه لم يجبر أحداً على معصيةٍ ولا اضطره إلى ترك طاعةٍ ، قال الله تعالى :

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾

[البقرة : ٢٨٦]

وقال الله تعالى :

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾

[التغابن : ١٦]

وقال تعالى :

﴿ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۢ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ ﴾ .

[غافر : ١٧]

[٤٩] فدل على أن للعبد فعلاً وكسباً يُجْزَىٰ على حسنه بالثواب ، وعلى سيئه بالعقاب ، وهو واقع بقضاء الله وقدره .

..... الشـــرح .....

التوفيق بين كون فعل العبد مخلوقاً لله وكونه كسباً للفاعل :

عرفت مما سبق أن فعل العبد مخلوق لله وأنه كسب للعبد يجازى عليه الحسن بأحسن والسيىء بمثله فكيف نوفق بينهما ؟

التوفيق بينهما أن وجه كون فعل العبد مخلوقاً لله تعالى أمران :

الأول : أن فعل العبد من صفاته والعبد وصفاته مخلوقان لله تعالى .

الثانى : أن فعل العبد صادر عن إرادة قلبية وقدرة بدنية ولولاهما لم يكن فعل والذى خلق هذه الإرادة والقدرة هو الله تعالى وخالق السبب خالق للمسبب فنسبة فعل العبد إلى خلق الله له نسبة مُسَبَّب إلى سبب لا نسبة مباشرة لأن المباشر حقيقة هو العبد فلذلك نُسِبَ الفعل إليه كسباً وتحصيلاً ونُسِبَ إلى الله خلقاً وتقديراً فلكل من النسبتين اعتبار والله أعلم .

المخالفون للحق فى القضاء والقدر والرد عليهم :

المخالفون للحق فى القضاء والقدر طائفتان :

الطائفة الأولى: الجبرية يقولون العبد مجبور على فعله وليس له اختيار فى ذلك . ونرد عليهم بأمرين :

١ - إن الله أضاف عمل الإنسان إليه وجعله كسباً له يعاقب ويثاب بحسبه ولو كان مجبوراً عليه ما صح نسبته إليه ولكان عقابه عليه ظلماً .

٢ - إن كل واحد يعرف الفرق بين الفعل الاختيارى والإضطرارى فى الحقيقة والحكم فلو اعتدى شخص على آخر وادعى أنه مجبور على ذلك بقضاء الله وقدره لَعُدَّ ذلك سَفَهاً مخالفاً للمعلوم بالضرورة .

الطائفة الثانية : القدرية يقولون العبد مستقل بعمله ليس لله فيه إرادة ولا قدرة ولا خلق ونرد عليهم بأمرين :

١ - إنه مخالف لقوله تعالى :

﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾

[الزمر : ٦٢]

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾

[الصافات : ٩٦]

٢ - إن الله مالك السموات والأرض فكيف يكون فى ملكه ما لا تتعلق به إرادته وخلقه ؟ .

* * *

أقسام الإرادة والفرق بينها :

إرادة الله تنقسم إلى قسمين كونية وشرعية :

فالكونية : هى التى بمعنى المشيئة كقوله تعالى :

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾

[الأنعام : ١٢٥]

والشرعية : هى التى بمعنى المحبة كقوله تعالى :

﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾

[النساء : ٢٧]

والفرق بينهما أن الكونية يلزم فيها وقوع المراد ولا يلزم أن يكون محبوباً لله وأما الشرعية فيلزم أن يكون المراد فيها محبوباً لله ولا يلزم وقوعه .

* * *

فصـل

الإيمان قول وعمل

[٥٠] والإيمان قول باللسان ، وعمل بالأركان ، وعقد بالجنان ، يزيد بالطاعة ، وينقص بالعصيان .

[٥١] قال الله تعالى :

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾

[البينة : ٥]

فجعل عبادة الله تعالى وإخلاص القلب وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة كله من الدين .

[٥٢] وقال رسول الله ﷺ : « الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَة ، أَعْلَاهَا شَهَادَةُ أَن لا إِله إِلَّا الله ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ ٱلطَّرِيق » .

[٥٣] فجعل القول والعمل من الإيمان . وقال تعالى :

﴿ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا ﴾

[التوبة : ١٢٤]

وقال :

﴿ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا ﴾

[الفتح : ٤]

[٥٤] وقال رسول الله ﷺ : « يخرجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قالَ : لَا إِلَه إِلَّا ٱللهُ وَفِي قَلْبِهِ مِثْقَال بُرَّةٍ ، أَوْ خَرْدَلَةٍ ، أَوْ ذَرَّةٍ من الإيمان » فجعله متفاضلاً .

..... الشـــرح .....

الإيمـــان :

الإيمان لغة : التصديق ، واصطلاحاً : قول باللسان وعمل بالأركان وعقد بالجنان .

مثال القول : لا إله إلا الله ، ومثال العمل : الركوع ومثال العقد : الإيمان بالله وملائكته وغير ذلك مما يجب اعتقاده .

والدليل على أن هذا هو الإيمان قوله تعالى :

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾

[البينة : ٥]

فجعل الإخلاص والصلاة والزكاة من الدين .

وقال النبى ﷺ : « الإ يمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَة أَعْلَاهَا شَهَادَةُ أن لا إله إلا الله وأدْنَاهَا إمَاطَةُ الأذَىٰ عَنِ الطَّرِيق » رواه مسلم ، بلفظ « فَأَفْضَلُها قَوْلُ لَا إِلَه إلَّا الله » وَأصله فى الصحيحين .(٥٧) والإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية لقوله تعالى :

﴿ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا ﴾ [آل عمران : ١٧٣]

﴿ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ ﴾ [الفتح : ٤]

---

(٥٧) مسلم : كتاب الإيمان : باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها .. (٣٥) (٥٨) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

وهو عند البخارى : كتاب الإيمان : باب أمور الإيمان (٩) مختصراً بلفظ : « الإيمان بضع وستون شعبة ، والحياء شعبة من الإيمان » .

وقال النبى ﷺ : « يَخْرُجُ من النَّار مَنْ قَالَ لا إلَه إلَّا الله وفى قلبه مِثْقَال بُرَّةٍ ، أَوْ خَرْدَلَةٍ أَوْ ذَرَّةٍ من إيمَانٍ » رواه البخارى[٥٨] بنحوه فجعله النبى ﷺ متفاضلاً وإذا ثبتت زيادته ثبت نقصه لأن من لازم الزيادة أن يكون المزيد عليه ناقصاً عن الزائد .

* * *

(٥٨) البخارى : كتاب الإيمان : باب زيادة الإيمان ونقصانه (٤٤) .

ومسلم : كتاب الإيمان : باب أدنى أهل الجنة منزلة (١٩٣) (٣٢٥) . من حديث أنس ابن مالك رضى الله عنه .

فصـــل

الإيمان بكل ما أخبر به الرسول

[٥٥] ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبى ﷺ وصح به النقل عنه فيما شاهدناه أو غاب عنا ، نعلم أنه حق وصدق ، وسواء فى ذلك ما عقلناه وجهلناه ، ولم نطلع على حقيقة معناه ، مثل حديث الإسراء والمعراج(٥٩) وكان يقظةً لا مناماً ، فإن قريشاً أنكرته وأكبرته ، ولم تنكر المنامات .

[٥٦] ومن ذلك أن ملك الموت لما جاء إلى موسى عليه السلام ليقبض روحه لطمه ففقأ عينه ، فرجع إلى ربه فرد عليه عينه .

..... الشـــرح .....

الســـمعيات :

السمعيات كل ما ثبت بالسمع أى بطريق الشرع ولم يكن للعقل فيها مدخل وكل ما ثبت عن النبى ﷺ من أخبار فهى حق يجب تصديقه سواء شاهدناه بحواسنا أو غاب عنا وسواء أدركناه بعقولنا أم لم ندركه لقوله تعالى :

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴾

[البقرة : ١١٩]

وقد ذكر المؤلف من ذلك أموراً :

---

(٥٩) البخارى (٣٢٠٧) (٣٨٨٧) ومسلم (١٦٤) (٢٦٤) من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه عن مالك بن صعصعة . وراجع الآية الكبرى فى شرح قصة الإسراء للسيوطى . ونور المسرى لأبى شامة . والإسراء والمعراج لأبى شهبة .

الأمـر الأول : الإسـراء والمعراج :

الإسراء لغة : السير بالشخص ليلاً وقبل بمعنى سرى .. وشرعاً : سير جبريل بالنبى ﷺ من مكة إلى بيت المقدس لقوله تعالى :

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾

[الإسراء : ١] الآية .

والمعراج لغة : الآلة التى يُعْرَجُ بها وهى المصعد وشرعاً : السلم الذى عرج به رسول الله ﷺ من الأرض إلى السماء لقوله تعالى :

﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾

[النجم : ١ ، ٢]

إلى قوله :

﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾

[النجم : ١٨]

وكانا فى ليلة واحدة عند الجمهور وللعلماء خلاف متى كانت فيروى بسندٍ مُنْقَطِع عن ابن عباس وجابر رضى الله عنهم « أنها ليلة الاثنين الثانى عشر من ربيع الأول » ولم يعينا السنة . رواه ابن أبى شيبة .

وَيُرْوَىٰ عن الزهرى وعروة أنها قبل الهجرة بسنة رواه البيهقى فتكون فى ربيع الأول ولم يُعَيِّنا الليلة وقاله ابن سعد وغيره وجزم به النووى وَيُرْوَىٰ عن السدى أنها قبل الهجرة بستة عشر شهراً رواه الحاكم فتكون فى ذى القعدة وقيل قبل الهجرة بثلاث سنين وقيل بخمس وقيل بست .

وكان يقظةً لا مناماً لأن قريشاً أكبرته وأنكرته ولو كان مناماً لم تنكره لأنها لا تنكر المنامات .

وقصته أن جبريل أمره الله أن يسرى بالنبى ﷺ إلى بيت المقدس على البراق ثم يعرج به إلى السموات العلى سماء سماء حتى بلغ مكاناً سمع فيه صريف الأقلام وفرض الله عليه الصلوات الخمس واطلع على الجنة والنار واتصل بالأنبياء الكرام

وصلى بهم إماماً ثم رجع إلى مكة فحدث الناس بما رأى فكذبه الكافرون وصدق به المؤمنون وتردد فيه آخرون .

الأمر الثانى : مجيء ملك الموت إلى موسى ﷺ :

جاء ملك الموت بصورة إنسان إلى نبى الله موسى عليه الصلاة والسلام ليقبض روحه فلطمه موسى ففقأعينه فرجع الملك إلى الله وقال : أرسلتنى إلى عبد لا يريد الموت فرد الله عليه عينه وقال : ارجع إليه وقل له يضع يده على متن ثور فله بما غطى يده بكل شعرة سنة فقال موسى : ثم ماذا قال : ثم الموت قال : فالآن فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية حجر ، قال النبى ﷺ : « فَلَوْ كُنْتَ ثَمَّ لأَرَيْتَكُم قَبْره إلى جَانِب الطَّريق عند الكَثِيبِ الأحْمَر » . وهذا الحديث ثابت فى الصحيحين[٦٠] وإنما أثبته المؤلف فى العقيدة لأن بعض المبتدعة أنكره معللاً ذلك بأنه يمتنع أن موسى يلطم الملك ونرد عليهم بأن الملك أتى موسى بصورة إنسان لايعرف موسى من هو يطلب منه نفسه فمقتضى الطبيعة البشرية أن يدافع المطلوب عن نفسه ولو علم موسى أنه ملك لم يلطمه ولذلك استسلم له فى المرة الثانية حين جاء بما يدل أنه من عند الله وهو اعطاؤه مهلة من السنين بقدر ما تحت يده من شعر ثور[٦١] .

---

(٦٠) البخارى : كتاب أحاديث الأنبياء : باب وفاة موسى وذِكْره بعد (٣٤٠٧) ومسلم : كتاب الفضائل : باب فضائل موسى (٢٣٧٢) (١٥٧) .

من حديث أبى هريرة رضى الله عنه وراجع فى الدفاع عن هذا الحديث ضد طعن الطاعنين وتلبيسات المضلين : تعليق الشيخ أحمد شاكر على المسند (٧٦٣٤) والأنوار الكاشفة للمعلمى اليمانى (٢١٩ ، ٢٢٠) .

(٦١) قال الإمام ابن حبان فى صحيحه تحت عنوان : « ذكر خبر شنع به على منتحلى سنن المصطفى ﷺ من حُرِمَ التوفيق لإدراك معناه » ثم قال عقب روايته : « إن الله جل وعلا بعث رسوله ﷺ معلماً لخلقه فأنزله موضع الإبانة عن مراده فبلغ ﷺ رسالته وبين عن آياته بألفاظ مجملة ومفصلة ، عقلها عنه أصحابه أو بعضهم . وهذا الخبر من الأخبار التى يدرك معناه من لم يحرم التوفيق لإصابة الحق ؛ وذاك أن الله جل وعلا أرسل ملك الموت إلى موسى عليه =

[٥٧] ومن ذلك أشراط الساعة : مثل خروج الدجال ، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام فيقتله . وخروج يأجوج ومأجوج ، وخروج الدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، وأشباه ذلك مما صح به النقل(٦٢) .

= السلام رسالة ابتلاء واختبار وأمره أن يقول له: «أجب ربك» أمر اختبار وابتلاء، لا أمراً يريد الله جل وعلا امضائه كما أمر خليله – صلى الله على نبينا وعليه – بذبح ابنه أمر أختبار وابتلاء دون الأمر الذى أراد الله جل وعلا إمضائه ، فلما عزم على ذبح ابنهٔ وتله للجبين ، فداه بالذبح العظيم . وقد بعث الله جل وعلا الملائكة إلى رسله فى صور لايعرفونها كدخول الملائكة على إبراهيم ، ولم يعرفهم حتى أوجس منهم خيفة ، وكمجيء جبريل إلى رسوله ﷺ وسؤاله إياه عن الإيمان والإسلام والإحسان فلم يعرفه المصطفى ﷺ حتى ولى . فكان مجيء ملك الموت إلى موسى عليه السلام على غير الصورة التى كان يعرفه موسى عليه السلام عليها ، وكان موسى غيوراً فرأى فى داره رجلاً لم يعرفه ، فشال يده فلطمه ، فأتت لطمته على فقء عينه التى فى الصورة التى يتصور بها لا الصورة التى خلقه الله عليها » ولما كان المصرح عن نبينا ﷺ فى خبر ابن عباس حيث قال : « أمّنى جبريل عند البيت مرتين » فذكر الخبر وقال فى آخره: « هذا وقتك ووقت الأنبياء قبلك » كان فى هذا الخبر البيان الواضح أن بعض شرائعنا قد يتفق مع بعض شرائع من قبلنا من الأمم . ولما كان من شريعتنا أن من فقأ عين الداخل داره بغير إذنه ، أو الناظر فى بيته بغير أمره من غير جناح على فاعله ولا حرج على مرتكبه للأخبار الجمّة الواردة فيه التى أمليناها فى غير موضع من كتبنا كان جائزاً اتفاق هذه الشريعة : شريعة موسى بإسقاط الحرج عمن فقأ عين الداخل داره بغير إذنه ، فكان استعمال موسى هذا الفعل مباحًا له ولا حرج عليه فى فعله ، فلما رجع ملك الموت إلى ربه وأخبره بما كان من موسى فيه ، أمره ثانياً بأمر آخر أمر اختبار وابتلاء – كما ذكرنا من قبل – إذ قال الله له قل له : إن شئت فضع يدك على متن ثور ، فلك بكل ماغطت يدك بكل شعرة سنة ، فلما علم موسى كليم الله صلى الله على بينا وعليه أنه ملك الموت وأنه جاءه بالرسالة من عند الله طابت نفسه بالموت ولم يستمهل وقال : فالآن . فلو كانت المرة الأولى عرفه موسى أنه ملك الموت ما استعمل ما استعمل فى المرة الأخرى عند تيقنه وعلمه به ضد قول من زعم أن أصحاب الحديث حمالة الحطب ورعاة الليل يجمعون مالا ينتفعون به ويروون ما لايؤجرون عليه ، ويقولون بما يبطله الإسلام جهلاً منه بمعانى الأخبار وترك التفقه والآثار معتمداً فى ذلك على رأيه المنكوس وقياسه المعكوس » أ.هـ .

(٦٢) راجع فى ذلك : النهاية لابن كثير والإذاعة لصديق حسن خان .

..... الشـــرح .....

الأمر الثالث : أشـراط الساعة :

الأشراط جمع شرط وهو لغة: العلامة . والساعة لغة: الوقت أو الحاضر منه والمراد بها هنا القيامة ... فأشراط الساعة شرعاً العلامات الدالة على قرب يوم القيامة . قال الله تعالى :

﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾

[محمد : ١٨]

وذكر المؤلف من أشراط الساعة ما يأتى :

١ - (**خروج الدجال**) وهو لغة : صيغة مبالغة من الدجل وهو الكذب والتمويه وشرعاً : رجل مموه يخرج فى آخر الزمان يدعى الربوبية . وخروجه ثابت بالسنة والإجماع قال النبى ﷺ : «قُولُواْ اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّم وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ وَأَعُوذُ بِكَ من فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجال وأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا والمَمَاتِ » رواه مسلم(٦٣) . « وكان النبى ﷺ يتعوذ منه فى الصلاة » متفق عليه(٦٤) . وأجمع المسلمون على خروجه .

وقصته : « أنه يخرج من طريق بين الشام والعراق فيدعو الناس إلى عبادته فأكثر من يتبعه اليهود والنساء والأعراب . ويتبعه سبعون ألفاً من يهود أصفهان فيسير

---

(٦٣) مسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة : باب مايستعاذ منه فى الصلاة (٥٩٠) (١٣٤) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما .

(٦٤) البخارى : كتاب الأذان : باب الدعاء قبل السلام (٨٣٢)
ومسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة : باب مايُسْتعاذ منه فى الصّلاة (٥٨٩) (١٢٩) من حديث عائشة رضى الله عنها .
وفى الباب عن أبى هريرة : عند مسلم (٥٨٨) (١٣٠) .

فى الأرض كلها كالغيث استدبرته الريح إلا مكة والمدينة فيمنع منهما ومدته أربعون يوما يوم كسنةٍ ، ويوم كشهرٍ ، ويوم كجمعةٍ وباقى أيامه كالعادة . وهو أعور العين مكتوب بين عينيه (ك ف ر) يقرؤه المؤمن فقط . وله فتنة عظيمة منها أنه يأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت معه جنة ونار فجنته نار وناره جنة حذر منه النبى ﷺ وقال : « مَنْ سَمِعَ بِهِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ وَمَنْ أَدْرَكَهُ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْه فَوَاتِحَ سُورَةِ الكَهْفِ أو بِفَوَاتِح سُورة الكَهْف »[65] .

٢ - (**نزول عيسى ابن مريم**) : نزول عيسى ابن مريم ثابت بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين .

قال الله تعالى :

﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾
[النساء : ١٥٩]

أى موت عيسى وهذا حين نزوله كما فسره أبوهريرة بذلك .

وقال النبى ﷺ : « وَٱللهِ لَيَنْزِلَنَّ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمَاً وعَدْلاً » . الحديث متفق عليه .[66]

وقد أجمع المسلمون على نزوله فينزل عند المنارة البيضاء فى شرق دمشق وَاضِعاً كفيه على أجنحة ملكين فلا يحل لكافر يجد من ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه فيطلب الدجال حتى يدرك بباب لدٍ فيقتله . ويكسر الصليب

---

(٦٥) راجع حديث النواس بن سمعان عند مسلم : كتاب الفتن : باب ذكر الدَّجال وصفته : (٢٩٣٧) (١١٠) ، (١١١) .

(٦٦) البخارى : كتاب البيوع : باب قتل الخنزير (٢٢٢٢)
كتاب الأنبياء : باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام (٣٤٤٨)
ومسلم : كتاب الإيمان : باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ (١٥٥) (٢٤٢) .

ويضع الجزية وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين ويحج ويعتمر كل هذا ثابت فى صحيح مسلم وبعضه فى الصحيحين كليهما[٦٧] . وروى الإمام أحمد وأبو داود « أن عيسى يبقى بعد قتل الدجال أربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون »[٦٨] وذكر البخارى فى تاريخه أنه يدفن مع النبى ﷺ فالله أعلم .[٦٩]

---

(٦٧) راجع حديث النواس بن سمعان عند مسلم (٢٩٣٧) (١١٠) (١١١)

وأما قوله : « ويكسر الصليب ويضع الجزية وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين » ففى حديث أبى هريرة عند البخارى (٣٤٤٨) ومسلم (١٥٥) (٢٤٢) .

وعندهما : « ... حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها » .

واللفظ الذى ذكره الشيخ عزاه الحافظ فى الفتح (٤٩٢/٦) لابن مردوية .

وأما قوله : « ويحج ويعتمر » فعند مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : « والَّذى نفسى بيده لَيُهِلَّن ابن مريم بفجِّ الرَّوْحَاء حاجّاً أو معتمراً أو لَيَثْنِيَنَّهُما » كتاب الحج : باب إهلال النبى ﷺ وهدية (١٢٥٢) (٢١٦) .

(٦٨) **حديث صحيح** : رواه أحمد (٩٢٥٩) وأبوداود (٤٣٢٤) وابن حبان (٢٧٧/٨) والحاكم (٥٩٥/٢) وصححه ووافقه الذهبى . وابن أبى شيبة (١٥٨/١٥) وابن جرير (٣٨٨/٩) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر فى تعليقه على المسند .

(٦٩) البخارى فى التاريخ الكبير (٢٦٣/١) والترمذى (٣٦١٧) والآجرى فى الشريعة (ص٣٨١) من طريق عثمان بن الضحاك عن محمد بن يوسف بن عبدالله بن سلام عن أبيه عن جده قال مكتوب فى التورة صفة محمد وصفة عيسى ابن مريم يدفن معه »

قال البخارى : هذا لايصح عندى ولايتابع عليه » ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن غريب . وقال الهيثمى فى المجمع (٣٠٦/٨) : فى سنده عثمان بن الضحاك وثّقه ابن حبان وضعفه أبوداود . وقال الحافظ فى الفتح (٦٦/٧) وروى عنها - أى عائشة - فى حديث لايثبت أنها استأذنت النبى ﷺ إن عاشت بعده أن تدفن إلى جانبه فقال لها : وأنى لك بذلك وليس فى ذلك الموضع إلا قبرى وقبر أبى بكر وعمر وعيسى بن مريم » وفى أخبار المدينة من وجه ضعيف عن سعيد بن المسيب قال : « إن قبور الثلاثة فى صفة بيت عائشة وهناك موضع قبر يدفن فيه عيسى بن مريم » أ.هـ .

٣ - (**يأجوج ومأجوج**) اسمان أعجميان أو عربيان مشتقان من المأج وهو الاضطراب أو من أجيج النار وتلهبها .

وهما أمتان من بنى آدم موجودتان بدليل الكتاب والسنة .

قال الله تعالى فى قصة ذى القرنين :

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۝٩٣ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ [الكهف :٩٣، ٩٤] الآيات .

وقال النبى ﷺ : « يَقُولُ الله يَوْمَ القِيَامَةِ يَا آدَمُ قُمْ فَابْعَث بعْثَ النَّارِ مِنْ ذُرِّيتكِ » إلى أن قال رسول الله ﷺ : « ابْشِرُوا فإنَّ مِنكُم وَاحِدَاً وَمِنْ يَأْجُوج وَمَأْجُوج أَلْفَاً » أخرجاه فى الصحيحين .(٧٠)

وخروجهم الذى يكون من أشراط الساعة لم يأت بعد ولكن بوادره وجدت فى عهد النبى ﷺ فقد ثبت فى الصحيحين أن النبى ﷺ قال : « فُتِحَ ٱليومَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلَ هَذِهِ وَحَلَّق بأصْبعه الإبْهَام والتى تَلِيها » .(٧١)

وقد ثبت خروجهم فى الكتاب والسنة .

---

(٧٠) البخارى : كتاب الرقاق : باب قوله عز وجل ﴿ إِنَّ زَلْزَلَة السَّاعة شَيْءٌ عَظِيم ﴾ (٦٥٣٠)

ومسلم : كتاب الإيمان : باب قوله : يقول الله لادم أخرج بعث النار ... (٢٢٢) (٣٧٩) من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه . ولفظه عندهما : « يقول : أخرج بعث النار ... » وفى لفظ للبخارى (٦٥٢٩) : « أَخْرِج بَعْثَ جَهَنَّم من ذُرِّيَتِكَ » وهذا اللفظ قريب من اللفظ الذى ذكره الشيخ صالح العثيمين .

(٧١) البخارى : كتاب الفتن : باب يأجوج ومأجوج (٧١٣٥)

ومسلم : كتاب الفتن . باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج (٢٨٨٠) (٢) . من حديث زينب بنت جحش رضى الله عنها .

قال الله تعالى :

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ ﴾

[الأنبياء : ٩٦ ، ٩٧]

وقال النبى ﷺ : « إِنَّها لَنْ تَقُوم السَّاعة حتَّى تَرَواْ قَبْلَها عَشْر آيات » فذكر : الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق . وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم » رواه مسلم(٧٢) وقصتهم فى حديث النواس بن سمعان أن النبى ﷺ قال فى عيسى ابن مريم بعد قتله الدجال» فبينما هو كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَىٰ آللهُ إِلَى عِيسَىٰ أَنِّى قد أَخْرَجْتُ عِباداً لِى لا يُدَانُ لأَحَدٍ بِقتالِهم فَحَرِّز عِبَادِى إلى الطُّور . وَيبْعَثُ الله يَأْجُوج وَمَأْجُوج وهم من كل حَدَبٍ يَنْسلُون فَيَمُرُّ أَوَائِلُهم على بُحَيْرَةِ طَبَرية فَيَشْرَبُون مَا فِيهَا وَيَمُرُّ آخِرُهم ويقول : لَقَدَ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّة مَاء ثمَّ يَسِيرُوْنَ حتى يَنْتَهُواْ إلى جَبَلِ الخَمْر وهُو جَبَلُ بَيْتِ المَقْدِس فيقولون لقد قَتَلْنَا مَنْ فى الأَرْضِ هَلُم فَلْنَقْتُل مَنْ فِى السَّمَاء فيرمون بِنشابِهم إلى السَّماء فَيَرُدُّ الله عليهم نِشَابهم مَخْضُوبة دَمَاً ويحصَر نبىُّ الله وأَصْحَابُه حتَّى يَكُون رَأْس الثَّور لأحدهم خَيْراً مِنْ مِئة دِينَار لأَحَدِكُم اليوم فيرغب نَبِىُّ الله عِيسىٰ وأَصْحَابه إلى آلله فَيُرْسِلِ الله عَلَيْهم النَّغفَ فى رِقابهم فَيُصْبِحُون فَرسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ واحِدة ثمَّ يَهْبِطُ نَبِىُّ الله عيسى وأَصْحَابُه إلى الأَرض فلا يَجِدُون مَوْضِعُ شِبْر إلا مَلأُه زهمهم ونتنهم فَيَرْغَبُ نَبِىُّ الله عيسى وأصحابه إلى الله فَيُرْسِلُ عَلَيْهم طَيْراً كأَعْنَاقِ البخثْ فَتَحْمِلُهم فَتَطْرَحُهُم حَيْثُ شَاءَ الله » رواه مسلم(٧٣) .

---

(٧٢) مسلم : كتاب الفتن : باب فى الآيات التى تكون قبل الساعة (٢٩٠١) (٣٩) . من حديث حذيفة بن أسيد الغفارى رضى الله عنه .

(٧٣) مسلم : كتاب الفتن : باب ذكر الدَّجال وصفته (٢٩٣٧) (١١٠) .
وراجع تعليق النووى على غريب الحديث فى رياض الصالحين حديث (١٨١٧) .

٤ - (**خروج الدابة**)... الدابة لغة : كل ما دب على الأرض . والمراد بها هنا الدابة التي يُخْرجها الله قرب قيام الساعة ... وخروجها ثابت بالقرآن والسنة .

قال الله تعالى :

﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ [النمل : ٨٢]

وقال النبي ﷺ : « إنَّها لن تَقُوم السَّاعة حتَّى تَرَوا قَبْلَها عَشْر آيات وذَكَر مِنْها الدَّابة » رواه مسلم .(٧٤)

وليس فى القرآن والسنة الصحيحة ما يدل على مكان خروج هذه الدابة وصفتها وإنما وردت فى ذلك أحاديث فى صحتها نظر . وظاهر القرآن إنها دابة تنذر الناس بقرب العذاب والهلاك والله أعلم .

٥ - (**طلوع الشمس من مغربها**) : طلوع الشمس من مغربها ثابت بالكتاب والسنة . قال الله تعالى :

﴿ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا ﴾ [الأنعام : ١٥٨]

والمراد بذلك طلوع الشمس من مغربها .

وقال النبي ﷺ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُع الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبهَا فإذَا طَلَعت وَرَآها النَّاسُ آمَنُواْ أَجْمَعُون وَذٰلِكِ حين :

﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا ﴾ [الانعام : ١٥٨]

متفق عليه .(٧٥)

---

(٧٤) تقدم تخريجه ص(١٠٩) .

(٧٥) البخارى : كتاب التفسير من سورة الأنعام : باب ﴿ لاينفع نفساً إيمانها ﴾ (٤٦٣٦) ومسلم : كتاب الإيمان : باب الزمن الذى لايقبل فيه الإيمان (١٥٧) (٢٤٨) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

[٥٨] وعذاب القبر ونعيمه حق ، وقد استعاذ النبى ﷺ منه ، وأمر به فى كل صلاة .

[٥٩] وفتنة القبر حق ، وسؤال منكر ونكير حق ، والبعث بعد الموت حق ، وذلك حين ينفخ إسرافيل عليه السلام فى الصور :

﴿ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ .

[يس : ٥١]

..... الشـــرح .....

فتنـــة القبـــر :

الفتنة لغة : الاختبار وفتنة القبر سؤال الميت عن ربه ودينه ونبيه .

وهى ثابتة بالكتاب والسنة . قال الله تعالى :

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾

[إبراهيم : ٢٧]

وقال النبى ﷺ: «المُسْلِمُ إذَا سُئِلَ فِى القَبْرِ شَهِدَ أَن لَا إِلَه إِلَّا الله وأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله » . فذلك قوله تعالى :

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾

[إبراهيم : ٢٧]

متفق عليه .[٧٦] .

---

(٧٦) البخارى : كتاب الجنائز : باب ماجاء فى عذاب القبر (١٣٦٩) .

ومسلم : كتاب الجنة وصفة نعيمها : باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (٢٨٧١) (٧٣) من حديث البراء بن عازب رضى الله عنه .

والسائل ملكان لقول النبى ﷺ : « إِنَّ العَبْدَ إذا وُضِعَ فى قَبْرِه وتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْع نِعَالِهِم قال يَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ » . رواه مسلم .[77] واسمهما « مُنْكر ونَكِير » كما رواه الترمذى عن أبى هريرة مرفوعاً وقال حسن غريب .. قال الألبانى وسنده حسن وهو على شرط مسلم[78] ، والسؤال عام للمكلفين من المؤمنين والكافرين ومن هذه الأمة وغيرهم على القول الصحيح وفى غير المكلفين خلاف . وظاهر كلام ابن القيم فى كتاب (الروح) ترجيح السؤال . ويستثنى من ذلك الشهيد لحديث رواه النسائى[79] ، ومن مات مرابطاً فى سبيل الله لحديث رواه مسلم .[80]

عـذاب القبـر أو نعيمـه :

عذاب القبر أو نعيمه حق ثابت بظاهر القرآن وصريح السنة وإجماع أهل السنة قال الله تعالى فى سورة الواقعة :

﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ۝٨٣ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴾

[الواقعة : ٨٣ ، ٨٤]

---

(٧٧) البخارى : كتاب الجنائز : باب الميت يسمع خفق النعال (١٣٣٨) .

ومسلم : كتاب الجنة وصفة نعيمها : باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (٢٨٧٠) (٧٠) من حديث أنس رضى الله عنه .

(٧٨) **حديث حسن** : الترمذى (١٠٧١) وابن حبان (٧٨٠ - موارد) وابن أبى عاصم فى السنة (٨٦٤) وقال الترمذى : حسن غريب وحسنه الألبانى فى ظلال الجنة فى تخريج السنة (٨٦٤) وقال فى الصحيحة (١٣٩١) : « إسناده جيد رجاله كلهم ثقات رجال مسلم » .

(٧٩) **حديث صحيح** : أخرجه النسائى (٢٧٩/١) عن رجل من أصحاب النبى ﷺ أن رجلاً قال : يارسول الله : ما بال المؤمنين يُفتنون فى قبورهم إلا الشهيد ؟ قال : « كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة » .

وقال الألبانى فى أحكام الجنائز ص (٣٦) : « وسنده صحيح » أ.هـ .

(٨٠) مسلم : كتاب الإمارة : باب فضل الرباط فى سبيل الله عز وجل : (١٩١٣) (١٦٣) من حديث سلمان الفارسى رضى الله عنه .

إلى قوله :

﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴾

[الواقعة : ٨٨ ، ٨٩] الخ .. السورة ...

وكان النبى ﷺ يتعوذ بالله من عذاب القبر وأمر أمته بذلك[٨١] . وقال النبى ﷺ فى حديث البراء بن عازب المشهور فى قصة فتنة القبر قال فى المؤمن : « فَيُنَادِى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاء أَنْ صَدَقَ عَبْدِى فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الجَنَّة وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الجَنَّة وافْتَحُوا لَهُ بَابَاً إلى الجَنَّة فَيَأْتِيهِ مِنْ رِيحِهَا وَطِيبِهَا وَيُفْسَحُ لَهُ فِى قَبْرِه مُدَّ بَصَرِه » وقال فى الكافر : « فَيُنَادِى مُنَاد مِنَ السَّمَاء أَنْ كَذَبَ عَبْدِى فافرِشُوه مِنَ النَّار وافْتَحُوا له بَاباً من النَّار فَيَأْتِيه من حَرِّها وسمُومِها ويُضَيَّق عليه قَبْره حتى تَخْتَلِفَ أُضْلَاعه». الحديث رواه أحمد وأبوداود .[٨٢] وقد اتفق السلف وأهل السنة على إثبات عذاب القبر ونعيمه ذكره ابن القيم فى كتاب (الروح) وأنكر الملاحدة عذاب القبر متعللين بأننا لو نبشنا القبر لوجدناه كما هو ونرد عليهم بأمرين :

١ - دلالة الكتاب والسنة وإجماع السلف على ذلك .

٢ - إن أحوال الآخرة لا تقاس بأحوال الدنيا فليس العذاب أو النعيم فى القبر كالمحسوس فى الدنيا .

---

(٨١) مسلم : كتاب المساجد : باب مايستعاذ منه فى الصلاة (٥٩٠) (١٣٤) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنّه كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن : « اللَّهُمَّ إِنِى أعُوذُ بِكَ مِن عَذَاب جَهَنَّم وأعُوذ بك من عَذَاب القَبْر ... » الحديث .

وفى الباب عن عائشة : عند البخارى (١٠٤٩) ومسلم (٩٠٣) (٨)

وعن أبى هريرة : عند مسلم (٥٨٨) (١٣٠) .

وزيد بن ثابت : عند مسلم (٢٨٦٧) (٦٧) .

(٨٢) **حديث صحيح** : أخرجه أحمد فى المسند (٢٨٧/٤، ٢٨٨، ٢٩٥، ٢٩٦) وأبوداود (٤٧٥٣) . وقد ساقه الألبانى حفظه الله سياقاً واحداً ضامًا إليه جميع الزوائد والفوائد التى وردت فى شىء من طرقه الثابتة فليراجع .

قال الحافظ فى الفتح (٢٨٢/٣) : « وهو أتمُّ الأحاديث سياقاً » أ.هـ .

هل عذاب القبر أو نعيمه على الروح أو على البدن ؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « مذهب سلف الأمة وأئمتها أن العذاب أو النعيم يحصل لروح الميت وبدنه وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة وأنها تتصل بالبدن أحياناً فيحصل له معها النعيم أو العذاب »[٨٣] .

النفــخ فى الصــور :

النفخ معروف . والصور لغة : القرن . وشرعاً : قرن عظيم التقمه إسرافيل ينتظر متى يؤمر بنفخه ، وإسرافيل أحد الملائكة الكرام الذين يحملون العرش وهما نفختان إحداهما : نفخة الفزع ينفخ فيه فيفزع الناس ويصعقون إلا من شاء الله . والثانية نفخة البعث ينفخ فيه فيبعثون ويقومون من قبورهم .

وقد دل على النفخ فى الصور الكتاب والسنة وإجماع الأمة .

قال الله تعالى :

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾
[الزمر : ٦٨]

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾
[يس : ٥١]

وعن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « ثُمَّ يُنْفَخُ فى الصُّور فلا يَسْمَعُه أحدٌ إلَّا أصْغَى لَيْتا وَرَفَع لَيْتاً ثمَّ لا يَبْقَى أحدٌ إلَّا صُعِقَ ثَمَّ يُنْزِلُ الله مَطَراً كأنَّه الطَّل أو الظِّل (شك الراوى) فَتَنْبُتُ مِنْهُ أجْسَادَ النَّاس ثُمَّ يُنْفَخ فِيه أُخْرَىٰ فإذا هُم قِيامٌ يَنْظُرون » رواه مسلم فى حديث طويل .

وقد اتفقت الأمة على ثبوته .

* * *

---

(٨٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٨٢/٤) .

[٦٠] ويحشر الناس يوم القيامة حفاةً عراةً غرلاً بهما ، فيقفون فى موقف القيامة ، حتى يشفع فيهم نبينا محمد ﷺ ويحاسبهم الله تبارك وتعالى ، وتنصب الموازين ، وتنشر الدواوين ، وتتطاير صحف الأعمال إلى الأيمان والشمائل :

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴾

[الإنشقاق : ٧-١٢]

..... الشـــرح .....

البعــث والحشـــر :

البعث لغة : الإرسال والنشر، وشرعاً: إحياء الأموات يوم القيامة .

والحشر لغة : الجمع وشرعاً جمع الخلائق يوم القيامة لحسابهم والقضاء بينهم .

والبعث والحشر حق ثابت بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين قال الله تعالى :

﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ﴾

[التغابن : ٧]

وقال تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ۝٤٩ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾

[الواقعة : ٤٩ ، ٥٠]

وقال النبى ﷺ : « يُحْشر النَّاس يَوْمَ القِيامَةِ عَلَىٰ أُرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْراء كَقُرْصَةِ النَّقِى لَيْسَ فِيهَا علمٌ لِأُحَد » . متفق عليه[٨٤] .

---

(٨٤) البخارى : كتاب الرقاق : باب يقبض الله الأرض يوم القيامة (٦٥٢١)
ومسلم : كتاب صفة القيامة والجنة والنار : باب فى البعث والنشور ... (٢٧٩٠) (٢٨) من حديث سهل بن سعد رضى الله عنه .

* بيضاء عفراء : أى غير شديدة البياض ، يضرب إلى الحمرة .
والقرصة : الرغيف . والنَّقى : الدقيق المنخول المنظف .
ليس فيها عَلَمٌ لأحد : ليس بها علامة سكنى ولابناء ولا أثر .

وأجمع المسلمون على ثبوت الحشر يوم القيامة .

ويحشر الناس حفاة لا نعال عليهم عراة لا كسوة عليهم غرلا لا ختان فيهم لقوله تعالى :

﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾ [الأنبياء : ١٠٤]

وقول النبى ﷺ : « إنكم تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً ثمَّ قرأ :

﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾

[الأنبياء : ١٠٤]

وأول من يُكْسَىٰ إبْرَاهِيم » متفق عليه[٨٥] . وفى حديث عبدالله بن أنيس المرفوع الذى رواه أحمد : « يُحْشَرُ النَّاسُ يوم القِيَامَةِ عُرَاةً غُرُلاً بُهْماً قُلْنَا وَمَا بُهْماً ؟ قَالَ لَيسَ مَعَهُم شَىْء » الحديث[٨٦] .

---

(٨٥) البخارى : كتاب الأنبياء : باب قول الله تعالى : ﴿ واتَّخَذَ الله إبْرَاهِيم خَلِيلاً ﴾ (٣٣٤٩) .

ومسلم : كتاب الجنة : باب فناء الدُّنيا وبيان الحشر يوم القيامة (٢٨٦٠) (٥٨) .

(٨٦) **حديث حسن** : تقدم تخريجه ص (٧٤) .

الحســــاب :

الحساب لغة : العدد ، وشرعاً : إطلاع الله عباده على أعمالهم .

وهو ثابت بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين .

قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾

[الغاشية : ٢٥ ، ٢٦]

وكان النبى ﷺ يقول فى بعض صلاته : « .. اللَّهُمَّ حَاسِبْنِى حِسَاباً يَسِيراً » فقالت عائشة رضى الله عنها مَا الحِسَابُ اليَسِير ؟ قال : « أَنْ يَنْظُر فِى كِتَابِه فَيَتَجاوَز عَنْه » رواه أحمد . وقال الألبانى إسناده جيد .(٨٧)

وأجمع المسلمون على ثبوت الحساب يوم القيامة .

وصفة الحساب للمؤمن «أن الله يخلو به فيقرره بذنوبه حتى إذا رأى أنه قد هلك قال الله له سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته .

وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين » متفق عليه من حديث ابن عمر(٨٨) .

---

(٨٧) **حديث صحيح** : أخرجه أحمد (٤٨/٦) وابن أبى عاصم فى كتاب السنة (٨٨٥) واللفظ لأحمد .

وقال الألبانى فى تخريج السنة (٤٢٩/٢) : « إسناده صحيح » أ.هـ .

وأصل الحديث فى الصحيحين عند البخارى (١٠٣) ، (٦٥٣٦) ، (٦٥٣٧) ومسلم (٢٨٧٦) (٧٩) عنها بلفظ : « ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك . قلت : أو ليس يقول الله ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيَراً ﴾ [الأنشقاق : ٨] فقال : إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب يهلك » .

(٨٨) البخارى : كتاب المظالم : باب قول الله تعالى ﴿ ألا لعنة الله على الظالمين ﴾ (٢٤٤١) .

ومسلم : كتاب التوبة : باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله (٢٧٦٨) (٥٢) . من حديث عبدالله بن عمر رضى الله عنهما .

والحساب عام لجميع الناس إلا من استثناهم النبى ﷺ وهم « سبعون ألفاً من هذه الأمة مِنْهُم عكاشة بن محصن يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب متفق عليه[89] . وروى أحمد من حديث ثوبان مرفوعاً « أن مع كل واحدٍ سبعين ألفاً » قال ابن كثير حديث صحيح وذكر له شواهد .[90]

---

(٨٩) البخارى : كتاب الرقاق : باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب (٦٥٤١) .

ومسلم : كتاب الإيمان : باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (٢٢٠) (٣٧٤) . من حديث ابن عباس رضى الله عنهما .

وفى الباب : عن أبى هريرة رضى الله عنه : عند البخارى (٥٨١١) (٦٥٤٢) ومسلم (٢١٦) (٣٦٧) وعن عمران بن حصين رضى الله عنه : عند مسلم (٢١٨) (٣٧١) .

(٩٠) **حســن** : حديث ثوبان عند الطبرانى فى الكبير (١٤١٣) وأحمد (٥/٢٨٠ ، ٢٨١) من طريق محمد بن اسماعيل الحمصى حدثنى أبى عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبى أسماء الرحبى عن ثوبان قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن ربى عز وجل وعدنى من أمتى سبعين ألفاً لايحاسبون مع كل ألف سبعين ألفاً » وسكت عنه الهيثمى فى المجمع (١٠/٤٠٧) ولم يتكلم عليه بشى . مع أن فيه محمد بن اسماعيل بن عياش الحمصى .

قال أبوداود لم يكن بذاك وقال أبوحاتم لم يسمع من أبيه شيئاً راجع التهذيب (٩/٥١ ، ٥٢) والمغنى فى الضعفاء للذهبى (٢/٥٥٥) . وللحديث شواهد كثيرة ذكرها ابن كثير فى النهاية (٣٢٢ : ٣٣٠) منها حديث أنس عند البزار فيه أبوعاصم العبادانى لين الحديث كما فى التقريب . ومنها : حديث أبى أمامة : عند أحمد (٥/٢٦٨) والترمذى (٣٤٣٧) وابن ماجة (٤٢٨٦) وصححه ابن حبان (٢٦٤٢ – موارد) .

ومنها : حديث أبى سعيد الخدرى عند ابن أبى عاصم فى السنة (٨١٤) وضعف إسناده الألبانى فى تخريج السنة (٢/٣٨٥) . وغير ذلك من الشواهد وراجع النهاية لابن كثير .

وبالجملة فالحديث حسن على أقل أحواله بهذه الشواهد .

وأول من يحاسب هذه الأمة لقول النبى ﷺ « نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُون يَوْمَ القِيامَة المَقْضِيُّ بَيْنَهُم قبل الخَلَائِق » متفق عليه[٩١] ، وروى ابن ماجه عن ابن عباس مرفوعاً « نَحْنُ آخِرُ الأمم وَأَوَّلُ مَنْ يُحَاسَب » الحديث .[٩٢]

وأول ما يحاسب عليه العبد من حقوق الله الصلاة لقول النبى ﷺ : « أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يوم القِيَامة الصَّلاة ، فإنْ صَلُحَتْ صَلُحَ سَائِرُ عَمَلِه وإنْ فَسَدَت فَسَدَ سَائِرُ عَمَله » رواه الطبرانى فى الأوسط وسنده لا بأس به إن شاء الله ، قاله المنذرى فى الترغيب والترهيب[٩٣] ص(٢٤٦) ج(١) وأول مايقضى بين الناس فى الدماء لقول النبى ﷺ : « أَوَّلُ مَا يُقْضَىٰ بَيْنَ النَّاس يَوْمَ القِيَامَةِ فى الدِّماء » متفق عليه .[٩٤]

* * *

[٦١] والميزان له كفتان ولسان توزن به الأعمال :

﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾

[المؤمنون : ١٠٢-١٠٣]

---

(٩١) الحديث بهذا اللفظ : عند مسلم كتاب الجمعة : باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة (٨٥٦) (٢٢) من حديث أبى هريرة وحذيفة رضى الله عنهما ولفظه عند البخارى (٨٧٦) ومسلم (٨٥٥) (٢١) : « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا » من حديث أبى هريرة .

(٩٢) أخرجه ابن ماجة (٤٢٩٠) وأحمد (٢٨٢/١ ، ٢٧٤/٢ ، ٣٤٢) والبيهقى فى دلائل النبوة (٤٨٢/٥) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما ، وقال البوصيرى فى الزوائد (٣١٧/٣) : « هذا إسناد صحيح رجاله ثقات » ، وصححه الشيخ الألبانى .

(٩٣) **حديث صحيح** : أخرجه الترمذى (٤١٣) والنسائى (٢٣٢/١) وابن ماجة (١٤٢٦) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (١٨٥/١) .

(٩٤) البخارى : كتاب الديات : باب قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يَقْتُل مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُه جَهَنَّم﴾ (٦٨٦٤) . ومسلم : كتاب القسامة : باب المجازاة بالدماء فى الآخرة . (١٦٧٨) (٢٨) . من حديث ابن مسعود رضى الله عنه .

..... الشـــرح .....

الموازيــــن :

الموازين جمع ميزان وهو لغة : ما تقدر به الأشياء خفة وثقلا، وشرعاً: مايضعه الله يوم القيامة لوزن أعمال العباد وقد دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف . قال الله تعالى :

﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴾

[المؤمنون : ١٠٢ ، ١٠٣]

﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴾

[الأنبياء : ٤٧]

وقال النبى ﷺ : « كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إلى الرَّحمن خَفِيفَتَانِ على اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فى المِيَزان سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ آللهِ العَظِيمِ » متفق عليه(٩٥) وأجمع السلف على ثبوت ذلك .

وهو ميزان حقيقى له كفتان لحديث عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبى ﷺ فى صاحب البطاقة قال : « فَتُوضَعُ السِّجِلاَّتِ فِى كَفَّة والبِطَاقَةِ فى كَفَّة » الحديث رواه الترمذى وابن ماجة قال الألبانى إسناده صحيح(٩٦) .

---

(٩٥) البخارى : كتاب التوحيد : باب قول الله تعالى ﴿ وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطِ لِيَوم القِيَامَة ﴾ (٧٥٦٣) .

ومسلم : كتاب الذكر والدعاء : باب فضل التهليل ... (٢٦٩٤) (٣١) . من حديث أبى هريرة رضى الله عنه وهو خاتمة صحيح البخارى .

(٩٦) **حديث صحيح** : أخرجه أحمد (٢١٣/٢) والترمذى (٢٦٣٩) وابن ماجة (٤٣٠٠) وإسناده صحيح . وقد صححه ابن حبان (٢٥٢٤) والحاكم (٦/١ ، ٥٢٩) ووافقه =

واختلف العلماء هل هو ميزان واحد أو متعدد ؟

فقال بعضهم : متعدد بحسب الأمم أو الأفراد أو الأعمال لأنه لم يرد فى القرآن إلا مجموعاً ، وأما إفراده فى الحديث فباعتبار الجنس .

وقال بعضهم : هو ميزان واحد لأنه ورد فى الحديث مفرداً ، وأما جمعه فى القرآن فباعتبار الموزون وكلا الأمرين محتمل والله أعلم .

والذى يُوزَنُ العمل لظاهر الآية السابقة والحديث بعدها وقيل صحائف العمل لحديث صاحب البطاقة وقيل العامل نفسه لحديث أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : « إنّه لَيَأْتِى آلرَّجُلُ العَظِيمِ السَّمين يَوْمَ القِيَامة لا يَزِنُ عِنْدَ آللهِ جَنَاح بَعُوضَة » وقال اقرأو :

﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴾

[الكهف : ١٠٥] متفق عليه .[٩٧]

وجمع بعض العلماء بين هذه النصوص بأن الجميع يوزن أو أن الوزن حقيقة للصحائف وحيث أنها تثقل وتخف بحسب الأعمال المكتوبة صار الوزن كأنه للأعمال وأما وزن صاحب العمل فالمراد به قدره وحرمته . وهذا جمع حسن والله أعلم .

نشـــر الـدواوين :

النشر لغة : فتح الكتاب أو بث الشىء، وشرعاً : إظهار صحائف الأعمال يوم القيامة وتوزيعها .

= الذهبى ،وحسنه الترمذى.وصححه الألبانى فى الصحيحة (١٣٥) ، وقال : « والأحاديث فى ذلك متضافرة إن لم تكن متواترة » أ.هـ .

(٩٧) البخارى : كتاب التفسير من سورة الكهف : باب ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِم وَلِقَائِه ﴾ (٤٧٢٩) .

ومسلم : كتاب صفة القيامة والجنة والنار (٢٧٨٥) (١٨) .

والدواوين جمع ديوان وهو لغة : الكتاب يُحْصَىٰ فيه الجند ونحوهم ، وشرعاً : الصحائف التى أُحْصِيَت فيها الأعمال التى كتبها الملائكة على العامل . فَنَشْرُ الدواوين إظهار صحائف الأعمال يوم القيامة فتطاير إلى الأيمان والشمائل وهو ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة .

قال الله تعالى :

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴾

[الانشقاق : ٧-١٢]

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴾

[الحاقة : ٢٥]

وعن عائشة رضى الله عنها أنها سألت النبى ﷺ : « هَلْ تَذْكُرُونَ أَهْلِيكُم ؟ قال : أَمَّا فى ثَلاثَة مَوَاطِن فلا يَذْكُرُ أَحَدٌ أَحَداً : عِنْدَ المِيزَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَيَخِفُّ مِيزَانُه أَم يَثْقُل وعِنْدَ تَطَاير الصُّحُف حَتَّى يَعْلَمَ أَيْنَ يَقَعُ كِتَابُهُ فِي يَمِينِهِ أم فِي شِمَالِهِ أَمْ وَرَاءَ ظَهْرِهِ وعِنْدَ الصِّرَاطِ إِذَا وُضِعَ بين ظَهْرَانى جَهَنَّم حَتَّى يَجُوز » رواه أبو داود والحاكم وقال صحيح على شرطهما .[98]

وأجمع المسلمون على ثبوت ذلك .

---

(٩٨) أخرجه أبوداود (٤٧٥٥) والحاكم فى المستدرك (٥٧٨/٤) والآجرى فى الشريعة (٣٨٥) من طرق عن الحسن عن عائشة . وذكره الشيخ الألبانى في ضعيف أبي داود .

وقال الحاكم : صحيح إسناده على شرط الشيخين لولا إرسال فيه بين الحسن وعائشة ، وأقره الذهبى .

وللحديث طريق آخر رواه أحمد (١١٠/٦) من طريق ابن لهيعة عن خالد بن أبى عمران عن القاسم بن محمد عن عائشة .

وقال الهيثمى فى المجمع (٣٥٩/١٠) : « عند أبى داود طرف منه رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف وقد وثق ، وبقية رجاله رجال الصحيح » .

صفة أخذ الكتاب :

المؤمن يأخذ كتابه بيمينه فيفرح ويستبشر ويقول :

﴿ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ﴾

[الحاقة : ١٩]

والكافر يأخذه بشماله أو من وراء ظهره فيدعو بالويل والثبور ويقول :

﴿ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ۝٢٥ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ﴾

[الحاقة : ٢٥ ، ٢٦]

* * *

[٦٢] ولنبينا محمد ﷺ حوض فى القيامة ، ماؤه أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، وأباريقه عدد نجوم السماء ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً .

..... الشـــرح .....

الحـــوض :

الحوض لغة : الجمع يقال حاض الماء يحوضه إذا جمعه ، ويطلق على مجتمع الماء .

وشرعاً : حوض الماء النازل من الكوثر فى عرصات القيامة للنبى ﷺ .

ودل عليه السنة المتواترة وأجمع عليه أهل السنة .

قال النبى ﷺ : « إنِّى فَرَطُكُم عَلَىٰ الحَوْضِ » متفق عليه[٩٩] .

---

(٩٩) البخارى : كتاب الرقاق : باب فى الحوض (٦٥٨٣) ، (٦٥٨٤) .
ومسلم : كتاب الفضائل : باب إثبات حوض نبينا ﷺ (٢٢٩٠) (٢٦) ، (٢٢٩١) (٢٦) من حديث سهل بن سعد وأبى سعيد الخدرى رضى الله عنهما . =

واجمع السلف أهل السنة على ثبوته ، وقد أنكر المعتزلة ثبوت الحوض ونرد عليهم بأمرين :

١ - الأحاديث المتواترة عن الرسول ﷺ .

٢ - إجماع أهل السنة على ذلك .

صفـــة الحـوض :

طوله شهر وعرضه شهر وزواياه سواء وآنيته كنجوم السماء وماؤه أبيض من اللبن وأحلى من العسل وأطيب من ريح المسك فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والثانى من فضة يرده المؤمنون من أمة محمد ومن يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً وكل هذا ثابت فى الصحيحين أو أحدهما[١٠٠] وهو موجود الآن لقوله

= • قال ابن أبى العز فى شرح الطحاوية (٢٧٧/١) : « والأحاديث الواردة فى ذكر الحوض تبلغ حد التواتر ، رواها من الصحابة بضع وثلاثون صحابياً رضى الله عنهم ولقد استقصى طرقها شيخنا عماد الدين ابن كثير تغمده الله برحمته فى آخر تاريخه الكبير المسمى بالبداية والنهاية » أ.هـ وكذا انظر فتح البارى (٤٦٨/١١ ، ٤٦٩) .

وقوله : « إنى فرطكم على الحوض » . أى متقدمكم إليه النهاية لابن الاثير (٤٣٤/٣) .

(١٠٠) البخارى : كتاب الرقاق : باب فى الحوض (٦٥٧٩) .

ومسلم : كتاب الفضائل : باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته (٢٢٩٢) (٢٧) . من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما .

والبخارى : كتاب الرقاق : باب فى الحوض (٦٥٨٠) .

ومسلم : كتاب الفضائل : باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته (٢٣٠٣) (٤٣) من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه .

ومسلم : فى المصدر نفسه (٢٣٠١) (٣٧) . من حديث ثوبان رضى الله عنه .

ﷺ : « وَإِنِّى واللهِ لأَنْظُر إِلى حَوْضِى الآنَ » رواه البخارى[101] واستمداده من الكوثر لقوله ﷺ : « وأَعْطَانِى الكَوْثَر وَهُو نَهْرٌ فى الجَنَّة يَسِيلُ فى حَوْض » . رواه أحمد . قال ابنِ كثير وهو حسن الإسناد والمتن .[102]

ولكل نبى حوض ولكن حوض النبى ﷺ أكبرها واعظمها وأكثرها واردة لقول النبى ﷺ : « إِنَّ لِكُلِّ نَبِي حَوْضاً وإِنَّهم لَيَتَبَاهَوْنَ أَيُّهم أَكْثَر وَارِدَة وإِنِّى لأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُم وَارِدة » . رواه الترمذى وقال غريب وروى ذلك ابن أبى الدنيا وابن ماجه من حديث أبى سعيد وفيه ضعف لكن صححه بعضهم من أجل تعدد الطرق .[103]

* * *

[٦٣] والصراط حق يَجُوزه الأَبرار ، وَيَزِلُّ عنه الفجار .

---

(١٠١) البخارى : كتاب الرقاق : باب فى الحوض (٦٥٩٠) .
من حديث عقبة بن عامر رضى الله عنه .

(١٠٢) نهاية البداية والنهاية (٢/٢٤٤) وفى إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف .

(١٠٣) **حديث صحيح** : الترمذى (٢٤٤٣) من طريق الحسن عن سمرة وقال الترمذى : هذا حديث غريب .

قال الحافظ فى الفتح (١١/٤٦٧) : « وأشار – أى الترمذى – إلى أنه اختلف فى وصله وإرساله وأن المرسل أصح . قلت : والمرسل أخرجه ابن أبى الدنيا بسندٍ صحيح عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ « إن لكل نبى حوضاً وهو قائم على حوضه بيده عصا يدعو من عرف من أمته ، إلا أنهم يباهون أيهم أكثر تبعاً ، وإنى لأرجو أن أكون أكثرهم تبعاً » وأخرجه الطبرانى من وجه آخر عن سمرة موصولاً ومرفوعاً مثله وفى سنده لين ، وأخرج ابن أبى الدنيا أيضاً حديث أبى سعيد رفعه « وكل نبى يدعو أمته ، ولكل نبى حوض ، فمنهم من يأتيه الفئام ومنهم من يأتيه العصبة ومنهم من يأتيه الواحد ومنهم من يأتيه الاثنان ومنهم من لايأتيه أحد ، وإنى لأكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة » وفى إسناده لين . وإن ثبت فالمختص بنبينا ﷺ الكوثر الذى يصب من مائه فى حوضه فإنه لم ينقل نظيره لغيره » أ.هـ .

وصححه الألبانى فى الصحيحة (١٥٨٩) .

..... الشـــرح .....

الصـــراط :

الصراط لغة: الطريق ، وشرعاً: الجسر الممدود على جهنم ليعبر الناس عليه إلى الجنة ، وهو ثابت بالكتاب والسنة وقول السلف .

قال الله تعالى :

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم : ٧١]

فَسَّرَهَا عبدالله بن مسعود وقتادة وزيد بن أسلم بالمرور على الصراط وفسرها جماعة منهم ابن عباس بالدخول فى النار لكن ينجون منها .

وقال النبى ﷺ : « ثُمَّ يُضْرَبُ الجِسْرُ عَلَىٰ جَهَنَّم وَتَحِل الشَّفاعة ويقولون اللهُمَّ سَلِّم سَلِّم » ، متفق عليه[١٠٤] . واتفق أهل السنة على إثباته .

صفـــة الصـــراط :

سئل النبى ﷺ عن الصراط فقال : « مَدحَضَة مَزلة عَلَيْهَا خَطاطيف وكَلَالِيب وَحَسَكة مُفَلْطَحة لها شَوكة عقيفاء تكون بِنَجْد يُقَال لها السَّعدان » رواه البخارى[١٠٥] وله من حديث أبى هريرة : « وَبِهِ كَلاليب مِثْل شَوْك السَّعدان غير

---

(١٠٤) جز من حديث أبى سعيد الخدرى الطويل الذى أخرجه :

البخارى : كتاب التوحيد : باب قول الله تعالى ﴿ وجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَة ﴾ (٧٤٣٩) .

ومسلم : كتاب الإيمان : باب معرفة طريق الرؤية (١٨٣) (٣٠٢) .

* الجِسر : بفتح الجيم وكسرها لغتان مشهورتان وهو الصراط . شرح النووى لمسلم (٢٩/٣) .

(١٠٥) جزء من حديث أبى سعيد الخدرى المتقدم عند البخارى ومسلم .

أنَّها لا يَعْلَم ماقَدْرُ عِظَمِهَا إلَّا آللهُ يخطف النَّاس بأَعْمَالهم »[١٠٦] وفى صحيح مسلم من حديث أبى سعيد رضى الله عنه قال : « بَلَغَنِى أنَّه أدَقُّ من الشَّعر وأحَدُّ من السَّيف »[١٠٧] وروى الإمام أحمد نحوه عن عائشة رضى الله عنها مرفوعاً .

العبــور على الصراط وكيفيتـه :

• لا يعبر الصراط إلا المؤمنون على قدر أعمالهم لحديث أبى سعيد رضى الله عنه عن النبى ﷺ وفيه : « فَيَمُرُّ المُؤْمِنُون كَطَرف العَيْن وكالبَرْق وَكَالريح وكالطَّير وكَأجَاوِيد الخيل والرِّكاب فَنَاجٍ مُسلم ومَخْدُوش مُرْسل ومَكْدُوس فى جَهَنَّم » . متفق عليه[١٠٨] . وفى صحيح مسلم : « تجرى بهم أعمالهم ونَبِيُّكم قَائِم على الصِّراط يقول يَارَب سَلِّم سَلم حتى تَعْجِزُ أَعْمَال العِبَاد حتى يَجىء الرَّجل فلا يَسْتَطِيع السَّير إلَّا زَحْفاً »[١٠٩] . وفى صحيح البخارى : « حَتَّى يَمُرُّ آخِرَهم يُسْحَب سَحْباً »[١١٠]

---

(١٠٦) البخارى : كتاب الرقاق : باب الصراط جسر جهنم (٦٥٧٣) .
ومسلم : كتاب الإيمان : باب معرفة طريق الرؤية (١٨٢) (٢٩٩)
من حديث أبى هريرة مطولاً .

(١٠٧) ذكره الإمام مسلم فى صحيحه عقب روايته لحديث أبى سعيد الخدرى (١٨٣) (٣٠٢) المتقدم قال : « قال أبوسعيد : بلغنى أن الصراط أحُد من السَّيف وأدَقُّ من الشَّعرة » وراجع تعليق الحافظ ابن حجر فى الفتح (٤٥٤/١١) على هذا البلاغ فى بحث جيد .

(١٠٨) تقدم تخريجه ص(١٢٦) .

(١٠٩) مسلم : كتاب الإيمان : باب أدنى أهل الجنة منزلة (١٩٥) (٣٢٩) .
من حديث حذيفة وأبى هريرة رضى الله عنهما .

(١١٠) البخارى : كتاب التوحيد : باب قول الله تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَومئِذٍ نَاضِرَة إلى رَبِّها نَاظِرة ﴾ (٧٤٣٩) من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه .

وأول من يعبر الصراط من الأنبياء محمد ﷺ ومن الأمم أمته لقول النبى ﷺ : « فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِى أَوَّلَ مَنْ يُجِيزَها ولا يَتَكَلَّم يَوْمئِذ إِلَّا الرُّسل وَدُعاء الرُّسل يومئذ اللَّهُمَّ سَلِّم سَلِّم » رواه البخارى .(١١١)

* * *

[٦٤] ويشفع نبينا ﷺ فيمن دخل النار من أمته من أهل الكبائر فيخرجون بشفاعته بعدما احترقوا وصاروا فحماً وحمماً فيدخلون الجنة بشفاعته .

[٦٥] ولسائر الأنبياء والمؤمنين والملائكة شفاعات . قال تعالى :

﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾

[الأنبياء : ٢٨] .

[٦٦] ولا تنفع الكافر شفاعة الشافعين .

..... الشـــرح .....

الشفاعـــة :

الشفاعة لغة: جعل الوتر شفعاً ، واصطلاحاً: التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة والشفاعة يوم القيامة نوعان خاصة بالنبى ﷺ وعامة له ولغيره .

فالخاصة به ﷺ شفاعته العظمى فى أهل الموقف عند الله ليقضى بينهم حين يلحقهم من الكرب والغم ما لا يطيقون فيذهبون إلى آدم فنوح فإبراهيم فموسى فعيسى وكلهم يعتذرون فيأتون إلى النبى ﷺ فيشفع فيهم إلى الله فيأتى سبحانه وتعالى للقضاء بين عباده .

---

(١١١) البخارى كتاب التوحيد : باب قول الله تعالى ﴿وجُوهٌ يَومَئِذٍ نَاضِرة إلى رَبِّها نَاظِرة ﴾ (٧٤٣٧) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

وقد ذكرت هذه الصفة فى حديث الصُّور المشهور لكن سنده ضعيف مُتَكَلَّم[١١٢] فيه وحذفت من الأحاديث الصحيحة فاقتصر منها على ذكر الشفاعة فى أهل الكبائر .

قال ابن كثير وشارح الطحاوية : وكان مقصود السلف من الاقتصار على الشفاعة فى أهْل الكبائر هو الرد على الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة .

وهذه الشفاعة لا ينكرها المعتزلة والخوارج ويشترط فيها إذن الله لقوله تعالى :

﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

النوع الثانى العامة : وهى الشفاعة فيمن دخل النار من المؤمنين أهل الكبائر أن يخرجوا منها بعدما احترقوا وصاروا فحماً وحميماً . لحديث أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِين هُم أَهْلُها فلا يَمُوتُون فيها ولا يَحْيُون ولَكْن أُنَاسٌ أَوْ كَمَا قَالَ تُصِيبُهم النَّار بِذُنُوبِهم أو قَالَ بِخَطَايَاهُم فَيُمِيتُهُم إِمَاتَة حَتَّى إذا صَارُوا فَحْمَاً أُذِنَ فِى الشَّفَاعة » الحديث رواه أحمد .[١١٣]

قال ابن كثير فى النهاية ص(٢٠٤) ج(٢) وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه من هذا الوجه . .

وهذه الشفاعة تكون للنبى ﷺ وغيره من الأنبياء والملائكة والمؤمنين لحديث أبى سعيد عن النبى ﷺ وفيه : « فَيَقُولُ ٱللهُ تَعَالىٰ : شَفَعَتِ المَلَائِكة وَشَفَع النَّبِيُّون

---

(١١٢) **حديث ضعيف** : وهو حديث طويل جداً فى إسناده إسماعيل بن رافع وهو ضعيف ومحمد بن يزيد أوزياد : هو مجهول وقد أورده الحافظ ابن كثير فى تفسيره (١٤٦/٢ ، ١٤٨) عن الطبرانى ، وقال : هذا حديث مشهور وهو غريب جداً ، ولبعضه شواهد فى الأحاديث المتفرقة ، وفى بعض ألفاظه نكارة تفرد به إسماعيل بن رافع قاص أهل المدينة ، وقد اختلف فيه ، فمنهم من وثقه ، ومنهم من ضعفه ، ونصَّ على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة .... وراجع النِّهاية لابن كثير (٢٥٣/١) .

(١١٣) أحمد فى مسنده (٩٤/٣) .

وَشَفَعَ المُؤْمِنُون وَلَمْ يَبْق إِلَّا أَرْحَمَ الرَّاحِمين فَيَقْبِضُ قَبْضَة مِن النَّار فَيَخْرُج مِنْها قَوْماً لم يَعْمَلُوا خَيْراً قَط قد عَادُوا حِمَماً » متفق عليه .(١١٤)

وهذه الشفاعة ينكرها المعتزلة والخوارج بناء على مذهبهم أن فاعل الكبيرة مخلد فى النار فلا تنفعه الشفاعة ونرد عليهم بما يأتى :

١ - أن ذلك مخالف للمتواتر من الأحاديث عن النبى ﷺ .

٢ - أنه مخالف لإجماع السلف .

ويشترط لهذه الشفاعة شرطان :

الأول : إذن الله فى الشفاعة لقوله تعالى :

﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة : ٢٥٥]

الثانى : رضا الله عن الشافع والمشفوع له لقوله تعالى :

﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء : ٢٨]

فأما الكافر فلا شفاعة له لقوله تعالى :

﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ [المدثر : ٤٨]

أى لو فرض أن أحداً شفع لهم لم تنفعهم الشفاعة .

وأما شفاعة النبى ﷺ لعمه أبى طالب حتى كان فى ضحضاح من نار وعليه نعلان يغلى منهما دماغه وإنه لأهون أهل النار عذاباً ، قال النبى ﷺ : « وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فى الدَّرك الأَسْفَل مِنَ النَّار » رواه مسلم(١١٦) . فهذا خاص بالنبى ﷺ وبعمه

(١١٤) حديث أبى سعيد الخدرى تقدم تخريجه ص (١٢٦) .

(١١٥) مسلم : كتاب الإيمان : باب شفاعة النبى ﷺ لأبى طالب والتخفيف عنه بسببه (٢٠٩) (٣٥٧) من حديث العباس بن عبدالمطلب أنه قال : يارسول الله ! هل نَفَعْتَ أبا طالب بشىء فإنه كان يحُوطُك ويغضب لك ؟ قال : نعم هو فى ضَحْضَاح من نار ، ولولا أنَا لكان فى الدَّرك الأسفل من النار » .

أبى طالب فقط وذلك والله أعلم لما قام به من نصرة النبى ﷺ والدفاع عنه ، وعما جاء به .

* * *

[٦٧] والجنة والنار مخلوقتان لاتفنيان ، فالجنة مأوى أوليائه ، والنار عقاب لأعدائه ، وأهل الجنة فيها مخلدون :

﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾

[الزخرف : ٧٤ ، ٧٥]

..... الشـــرح .....

الجنــة والنــار :

الجنة لغة: البستان الكثير الأشجار، وشرعاً: الدار التى أعدها الله فى الآخرة للمتقين .

والنار لغة: معروفة، وشرعاً : الدار التى أعدها الله فى الآخرة للكافرين .

وهما مخلوقتان الآن لقوله تعالى فى الجنة :

﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٣]

وفى النار :

﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [البقرة : ٢٤]

والإعداد : التهيئة ولقوله ﷺ حين صلى صلاة الكسوف : « إِنِّى رَأَيْتُ الجَنَّة فَتَنَاوَلْتُ مِنها عُنْقُوداً وَلَو أَخَذْتُه لأَكَلْتُم مِنْهُ مَا بَقِيَت الدُّنْيا وَرَأَيْتُ النَّار فَلَم أَرَ كَاليومِ مَنْظَراً قَط أَفْظَع منها » . متفق عليه[116] .

---

(١١٦) البخارى : كتاب الكسوف : باب صلاة الكسوف جماعة (١٠٥٢) .
مسلم : كتاب الكسوف : باب ماعرض على النبى ﷺ فى صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار (٩٠٧) (١٧) من حديث عبدالله بن عباس رضى الله عنهما .

والجنة والنار لا تفنيان لقوله :

﴿ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾

[البينة : ٨]

والآيات فى تأبيد الخلود فى الجنة كثيرة وأما فى النار فذكر فى ثلاثة مواضع فى النساء :

﴿ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾

[النساء : ١٦٨ ، ١٦٩]

وفى الأحزاب :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾

[الأحزاب : ٦٤ ، ٦٥]

وفى الجن :

﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾

[الجن : ٢٣]

وقال الله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾

[الزخرف : ٧٤ ، ٧٥]

مكان الجنة والنار :

الجنة فى أعلى عليين لقوله تعالى :

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴾

[المطففون : ١٨]

وقوله ﷺ فى حديث البراء بن عازب المشهور فى قصة فتنة القبر : « فَيَقُولُ الله عزَّ وجلَّ اكْتُبواْ كِتَابَ عَبْدى فى عِلِّيين وأَعِيدُوه إلى الأَرْضِ »(١١٧) .

والنار فى أسفل سافلين لقوله تعالى :

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴾

[المطففون : ٧]

وقوله ﷺ فى حديث البراء بن عازب السابق : « فيقولُ الله تَعَالىٰ اكْتُبوا كِتَابَ عَبْدِى فى سِجِّين فى الأَرْض السُّفْلَىٰ »(١١٨) .

أهــل الجنـة وأهــل النـار :

أهل الجنة كل مؤمن تقى لأنهم أولياء الله قال الله تعالى فى الجنة :

﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

[آل عمران : ١٣٣]

﴿ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ ، [الحديد : ٢١]

وأهل النار كل كافر شقى قال الله تعالى فى النار :

﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾

[البقرة : ٢٤]

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ ﴾

[هود : ١٠٦]

* * *

[٦٨] وَيُؤْتَىٰ بالموت فى صورة كبشٍ أملح ، فَيُذْبَح بين الجنة والنار ، ثم يُقَال : « يا أهل الجنة خلود ولا موت ، وياأهل النار خلود ولا موت » .

(١١٧ ، ١١٨) تقدم تخريجه من حديث البراء بن عازب المشهور فى أحوال الموتى وفتنة القبر .

..... الشــــرح .....

ذبــح المــوت :

الموت زوال الحياة وكل نفسٍ ذائقة الموت وهو أمر معنوى غير محسوس بالرؤية ولكن الله تعالى يجعله شيئاً مرئياً مجسماً وَيُذْبَح بين الجنة والنار لحديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : «يُؤْتَى بالمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْش أَمْلَح فَيُنَادِى مُنَادِياً أَهْل الجَنَّة فَيَشرَئِبُّونَ وَيَنْظُرون فَيَقُول : هل تَعْرِفُون هَذَا ؟ فَيَقُولُون : نعم هَذَا المَوْت وكلُّهم قد رَآه ثُمَّ يُنَادِى يَا أَهْلَ النَّار فَيَشْرَئِبُّون وَيَنْظُرون فَيَقُول : هل تَعْرِفُون هذا؟ فيقولون : نَعَم هذا المَوت وكُلُّهم قد رآه فَيُذْبَح ثمَّ يقول : يا أَهْلَ الجَنَّة خُلُودٌ فَلَا مَوْت ويَا أَهْلَ النَّار خُلُودٌ فلا مَوْت» ثم قرأ

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

[مريم : ٣٩]

أخرجه البخارى فى تفسير هذه الآية(١١٩) ، وروى نحوه فى صفة الجنة والنار من حديث ابن عمر مرفوعاً(١٢٠) .

* * *

---

(١١٩) البخارى : كتاب التفسير من سورة مريم : باب ﴿ وأنذرهم يوم الحسْرة ﴾ (٤٧٣٠) .

(١٢٠) البخارى : كتاب الرقاق : باب صفة الجنة والنار (٦٥٤٨) .

فصل

حُقُوقُ ٱلنَّبِي وَأَصْحَابِهِ

[٦٩] ومحمد رسول الله ﷺ خاتم النبين وسيد المرسلين ، لايصح إيمان عبدٍ حتى يؤمن برسالته ، ويشهد بنبوته ، ولايقضى بين الناس فى القيامة إلا بشفاعته ، ولا يدخل الجنة أمة إلابعد دخول أمته .

[٧٠] صاحب لواء الحمد والمقام المحمود ، والحوض المورود ، وهو إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم ، أمته خير الأمم وأصحابه خير أصحاب الأنبياء عليهم السلام .

..... الشـــرح .....

أفضل الخلق عند الله الرسل ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء ثم الصالحون وقد ذكر الله هذه الطبقات فى كتابه فى قوله :

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾

[النساء : ٦٩]

وأفضل الرسل أولوا العزم منهم وهم خمسة : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلوات من الله والتسليم . وقد ذكرهم الله فى موضعين من كتابه فى الأحزاب :

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾

[الأحزاب : ٧]

وفى الشورى :

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ﴾

[الشورى : ١٣]

وأفضلهم محمد ﷺ لقوله ﷺ : « أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيامَة » متفق عليه(١٢١) . وصلاتهم خلفه ليلة المعراج وغير ذلك من الأدلة .

ثم إبراهيم لأنه أبو الأنبياء وملته أصل الملل ثم موسى لأنه أفضل أنبياء بنى إسرائيل وشريعته أصل شرائعهم ثم نوح وعيسى لا يجزم بالمفاضلة بينهما لأن لكل منهما مزية .

خصائص النبى ﷺ

اختص النبى ﷺ بخصائص نتكلم على ما ذكر المؤلف منها :

١ - خاتم النبيين لقوله تعالى :

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾

[الأحزاب : ٤٠]

٢ - سيد المرسلين وسبق دليله .

٣ - لايتم إيمان عبد حتى يؤمن برسالته لقوله تعالى :

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾

[النساء : ٦٥].

---

(١٢١) البخارى : كتاب التفسير من سورة بنى إسرائيل : باب ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ... ﴾ (٤٧١٢) .

ومسلم : كتاب الإيمان . باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٩٤) (٣٢٧) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

الآية وغيره من الأنبياء يُبعثون إلى أقوام معينين كُلٌّ إلى قومه .

٤ – لايُقْضَىٰ بين الناس إلّا بشفاعته وسبق دليل ذلك فى الشفاعة .

٥ – سَبْقُ أمته الأمم فى دخول الجنة لعموم قوله ﷺ : « نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ القِيامَةِ » وَسَبَق .[١٢٢] .

٦ – صاحب لواء الحمد يحمله ﷺ يوم القيامة ويكون الحامدون تحته لحديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا فَخْر وَبِيَدِى لِواءُ الحَمْدِ وَلَا فَخْر وَمَا مِنْ نَبِىٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِى وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْه الأَرْضُ وَلَا فَخْر » . رواه الترمذى وقد روى الأولى والأخيرة مسلم .[١٢٣] .

٧ – صاحب المقام المحمود أى العمل الذى يحمده عليه الخالق والمخلوق لقوله تعالى :

﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾

[الإسراء : ٧٩]

وهذا المقام هو مايحصل من مناقبه ﷺ يوم القيامة من الشفاعة وغيرها .

٨ – صاحب الحوض المورود والمراد الحوض الكبير الكثير واردوه أما مجرد الحياض فقد مر أن لكل نبى حوضاً .

---

(١٢٢) تقدم تخريجه ص (١١٩) .

(١٢٣) **حديث صحيح** : الترمذى (٣١٤٨) (٣٦١٥) وقال : « حسن صحيح » وأيضا ابن ماجة (٤٣٠٨) من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه وصَحَّحه الألبانى فى الصحيحة (١٥٧١) وأما رواية مسلم فمن حديث أبى هريرة : كتاب الفضائل : باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق (٢٢٧٨) (٣) . بلفظ « أَنَا سَيِّد وَلَدِ آدم يَوْمَ القِيَامَةِ وَأَوَّل من يَنْشَقّ عنه القَبر ، وأَوَّل شافع وأَوَّل مشفَّع » .

٩-١١- إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم لحديث أبى بن كعب أن النبى ﷺ قال : « إِذَا كَانَ يَوْمَ القِيَامَةِ كُنْتُ إِمَامَ النَّبِيين وَخَطِيبهُم وَصَاحِبُ شَفَاعَتِهم غَيْر فَخْرٍ » رواه الترمذى وحسنه(١٢٤) .

١٢ - أمته خير الأمم لقوله تعالى :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١١٠]

فأما قوله تعالى :

﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة : ٤٧]

فالمراد عالمى زمانهم .

* * *

[٧١] وأفضل أمته أبوبكر الصديق ، ثم عمر الفاروق ، ثم عثمان ذو النورين ، ثم على المرتضى ، رضى الله عنهم أجمعين ، لما روى عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال :« كنا نقول والنبى ﷺ حى : أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر ، ثم عمر ، ثم عثمان(*) ، ثم على ، فيبلغ ذلك النبى ﷺ فلا ينكره »(١٢٥) .

[٧٢] وصحت الرواية عن على رضى الله عنه أنه قال : « خير هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر ثم عمر ، ولو شئت لسميت الثالث »(١٢٦) .

---

(١٢٤) **حديث حسن** : أخرجه أحمد (٥/١٣٧ ، ١٣٨) والترمذى (٣٦١٥) وقال : حديث حسن ، وابن ماجة (٤٣١٤) والحاكم (١/٧١) ، (٤/٧٨) وقال صحيح الإسناد وأقره الذهبى وحسَّنه الألبانى فى تخريج المشكاة (٥٧٦٨) .

(*) قال المعلق على طبعة السلفية ص (٢٥): اقتصر الحديث على هؤلاء الثلاثة فى طبعة دمشق سنة ١٣٣٨ وطبعة المنار سنة ١٣٤٠ . وزيد فى طبعتى ١٣٥١ ، ١٣٥٥: «ثم على» ا.هـ.

(١٢٥) يأتى التعليق على هذا الأثر ص (١٤٢) .

(١٢٦) **أثر صحيح** : أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (١/١٠٦ ، ١١٠) وابنه عبدالله فى زوائده (١/١٠٦ ، ١١٠ ، ١٢٧) وأحمد فى فضائل الصحابة (٣٩٧) بأسانيد صحيحة وحسنة=

[٧٣] وروى أبوالدرداء عن النبى ﷺ أنه قال : « مَا طَلَعَت الشَّمْسُ وَلَا غَرَبَتْ بَعْدَ النَّبِيِّينَ والمُرْسَلِين عَلَى أَفْضَلِ مِنْ أَبِى بَكْرٍ »(١٢٧) .

[٧٤] وهو أحق خلق الله بالخلافة بعد النبى ﷺ لفضله وسابقته ، وتقديم النبى ﷺ له فى الصلاة على جميع الصحابة رضى الله عنهم ، وإجماع الصحابة على تقديمه ومبايعته ، ولم يكن الله ليجمعهم على ضلالة .

[٧٥] ثم من بعده عمر رضى الله عنه ، لفضله وعهد أبى بكر إليه .

[٧٦] ثم عثمان رضى الله عنه لتقديم أهل الشورى له .

[٧٧] ثم على رضى الله عنه لفضله وإجماع أهل عصره عليه .

[٧٨] وهؤلاء الخلفاء الراشدون المهديون الذين قال رسول الله ﷺ فيهم: «عَلَيْكُم بسُنَّتِي وَسُنَّة الخُلَفَاء الرَّاشِدينَ المَهْدِيين مِنْ بَعْدِى ، عضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّواجِذ »(١٢٨).

= وكذا اخرجه ابن أبى عاصم فى كتاب السنة (١٢٠١) وصححه الألبانى فى تخريج السنة (٥٧٠/٢) .

(١٢٧) **إسناده ضعيف** : أخرجه الإمام أحمد فى فضائل الصحابة (١٣٥) وابن أبى عاصم فى السنة (١٢٢٤) وأبونعيم (٣٢٥/٣) من حديث ابى الدرداء بإسناد ضعيف فيه عنعنه بقية وعنعنه ابن جريج وهما مدلسان وكذا ذكره الهيثمى فى المجمع (٤٤/٩) من حديث أبى الدرداء وعزاه إلى الطبرانى فى الكبير وقال وفيه بقية وهو مدلس وبقيه رجاله وثقوا » . وكذا فيه عبدالله بن سفيان الخزاعى الواسطى قال العقيلى لايتابع على حديثه وراجع التعليق على الآثر فى تخريج فضائل الصحابة للإمام أحمد بتحقيق وصي الله بن محمد بن عباس (١/١٥٢ ، ١٥٣) .

(١٢٨) **حديث صحيح** : تقدم تخريجه من حديث العرباض بن سارية ص(٣٩) .

[٧٩] وقال ﷺ : « الخِلَافَةُ مِنْ بَعْدِى ثَلَاثُونَ سَنَة »[١٢٩] . فكان آخرها خلافة على رضى الله عنه .

..... الشـــرح .....

فضـــائل الصحابـة

الصحابى من اجتمع بالنبى ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك .

وأصحاب النبى ﷺ أفضل أصحاب الأنبياء لقول النبى ﷺ : « خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِى »[١٣٠] ، الحديث رواه البخارى وغيره .

---

(١٢٩) **حديث صحيح** : أخرجه أبوداود (٤٦٤٦) ، (٤٦٤٧) والترمذى (٢٢٢٦) وحسنه ، والنسائى فى فضائل الصحابة (٥٢) والحاكم (٧١/٣ ، ١٤٥) وصححه ووافقه الذهبى . وأحمد فى مسنده (٢٢٠/٥، ٢٢١) وفى فضائل الصحابة (٧٨٩ ، ٧٩٠ ، ١٠٢٧) وابن حبان (١٥٣٤ ، ١٥٣٥) وابن أبى عاصم فى السنة (٥٦٢/٢) والطبرانى فى الكبير (١٣ ، ١٣٦ ، ٦٤٤٢) والطيالسى (١١٠٧) والبيهقى فى دلائل النبوة (٣٤/٦) من طرق عن سفينة أبى عبدالرحمن مولى رسول الله ﷺ به . وإسناده حسن وله شواهد ترفعه إلى مرتبة الصحيح لغيره ولذ صححه وقواه غير واحد من أهل العلم منهم الإمام أحمد والترمذى وابن جرير الطبرى وابن أبى عاصم وابن حبان والحاكم وابن تيمية والذهبى والحافظ ابن حجر العسقلانى وراجع الصحيحة للألبانى فى بحث جيد (٤٥٩) للرد على من ضعف الحديث .

(١٣٠) البخارى : كتاب فضائل أصحاب النبى ﷺ : باب فضائل أصحاب النبى ﷺ (٣٦٥١) .

ومسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ... (٢٥٣٣) (٢١٢) من حديث ابن مسعود رضى الله عنه وفى الباب عن عمران بن حصين : عند البخارى (٢٥٦١) ، (٣٦٥٠) ، (٦٤٣٨) ، (٦٦٩٥) ومسلم (٢٥٣٥)

وعن أبى هريرة : عند مسلم (٥٣٤) (٢١٢) . وغيرهم

وهو حديث متواتر صرح بتواتره الحافظ ابن حجر فى مقدمة الإصابة .

وأفضل الصحابة المهاجرون لجمعهم بين الهجرة والنصرة ثم الأنصار .

وأفضل المهاجرين الخلفاء الأربعة الراشدون أبوبكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم .

فأبو بكر هو الصديق : عبدالله بن عثمان بن عامر من بنى تيم بن مرة بن كعب أول من آمن برسول الله ﷺ من الرجال وصاحبه فى الهجرة ونائبه فى الصلاة والحج وخليفته فى أمته أسلم على يديه خمسة من المبشرين بالجنة عثمان والزبير وطلحة وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص توفى فى جمادى الآخرة سنة ١٣هـ عن ٦٣ سنة وهؤلاء الخمسة مع أبى بكر وعلى بن أبى طالب وزيد بن حارثة هم الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام . قاله ابن إسحاق يعنى من الذكور بعد الرسالة .

وعمر : هو أبوحفص الفاروق عمر بن الخطاب من بنى عدى بن كعب بن لؤى ، أسلم فى السنة السادسة من البعثة بعد نحو أربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة ففرح المسلمون به وظهر الإسلام بمكة بعده . استخلفه أبوبكر على الأمة فقام بأعباء الخلافة خير قيام إلى أن قتل شهيداً فى ذى الحجة سنة ٢٣هـ عن ٦٣سنة .

وعثمان: هو أبوعبدالله ذو النورين عثمان بن عفان من بنى أمية بن عبدشمس بن عبدمناف . أسلم قبل دخول النبى ﷺ دار الأرقم كان غنياً سخياً تولى الخلافة بعد عمر بن الخطاب باتفاق أهل الشورى إلى أن قتل شهيداً فى ذى الحجة سنة ٣٥هـ عن ٩٠ سنة على أحد الأقوال .

وعلى : وهو أبوالحسن على بن أبى طالب ، واسم أبى طالب عبد مناف بن عبدالمطلب أول من أسلم من الغلمان ، أعطاه رسول الله ﷺ الراية يوم خيبر ففتح الله على يديه وبويع بالخلافة بعد قتل عثمان رضى الله عنهما فكان هو الخليفة شرعاً إلى أن قتل شهيداً فى رمضان سنة ٤٠هـ عن ٦٣سنة .

● وأفضل هؤلاء الأربعة أبوبكر ثم عمر ثم عثمان ثم على لحديث ابن عمر رضى الله عنهما : « كنا نخير بين الناس فى زمن النبى ﷺ فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان » رواه البخارى[131] ولأبى داود : « كنا نقول ورسول الله ﷺ حَيٌّ : أفضل أمة النبى ﷺ بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان » زاد الطبرانى فى رواية : « فيسمع ذلك النبى ﷺ فلا ينكره » هذا ولم أجد اللفظ ذكره المؤلف بزيادة على بن أبى طالب .[132]

● وأحقهم بالخلافة بعد النبى ﷺ أبوبكر رضى الله عنه لأنه أفضلهم وأسبقهم إلى الإسلام ولأن النبى ﷺ قدمه فى الصلاة ولأن الصحابة رضى الله عنهم أجمعوا على تقديمه ومبايعته ولايجمعهم الله على ضلالة ثم عمر رضى الله عنه لأنه أفضل الصحابة بعد أبى بكر ولأن أبا بكر عهد بالخلافة إليه . ثم عثمان رضى الله عنه لفضله وتقديم أهل الشورى له وهم المذكورون فى هذا البيت :

على وعثمان وسعد وطلحة زبير وذو عوف رجال المشورة .

---

(١٣١) البخارى : كتاب فضائل الصحابة : باب فضل أبى بكر بعد النبى ﷺ (٣٦٥٥) وفى لفظ للبخارى (٣٦٩٧) : « كنا فى زمن النبى ﷺ لانعدل بأبى بكر أحداً ثم عمر ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبى ﷺ لانفاضل بينهم » .

(١٣٢) **إسناده صحيح** : أبوداود (٤٦٢٨) والترمذى (٣٧٠٧) وابن أبى عاصم فى السنة (١١٩٠) وإسناده صحيح كما قال الألبانى فى تخريج السنة (٥٦٧/٢) .

وأما الزيادة التى ذكرها الشيخ العثيمين عند الطبرانى وهى : « فيسمع ذلك النبى ﷺ فلا ينكره » فهى زيادة صحيحة ثابتة من طرق كثيرة عند ابن أبى عاصم فى السنة (١١٩٤ ، ١١٩٥ ، ١١٩٦ ، ١١٩٧) وأحمد (١٤/٢) وغيرهم بأسانيد صحيحة وراجع تخريج السنة لابن أبى عاصم (٥٦٨/٢ ، ٥٦٩) وكذا فتح البارى (١٦/٧ ، ١٧) .

ثم على : رضى الله عنه لفضله وإجماع أهل عصره عليه .

وهؤلاء الأربعة هم الخلفاء الراشدون المهديون الذين قال فيهم النبى ﷺ : « عَليكُم بِسُنَّتِى وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الراشِدِينَ مِنْ بَعْدِى عَضُّوا عَلَيْها بالنَّواجِذِ »(١٣٣) .

وقال : « الخِلَافة بَعْدِى ثَلَاثُون سَنَة » . رواه أحمد وأبو داود والترمذى قال الألبانى : وإسناده حسن. فكان آخرها خلافة على هكذا قال المؤلف وكأنه جعل خلافة الحسن تابعة لأبيه أو لم يعتبرها حيث أنه رضى الله عنه تنازل عنها .

- فخلافة أبى بكر رضى الله عنه سنتان وثلاثة أشهر وتسع ليال من ١٣ ربيع الأول سنة ١١هـ إلى ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣هـ .

- وخلافة عمر رضى الله عنه عشر سنوات وستة أشهر وثلاثة أيام من ٢٣ جمادى الآخرة سنة ١٣هـ إلى ٢٦ ذى الحجة سنة ٢٣هـ .

- وخلافة عثمان رضى الله عنه اثنتا عشرة سنة إلا اثنى عشر يوماً من ١محرم سنة ٢٤هـ إلى ١٨ ذى الحجة سنة ٣٥هـ .

- وخلافة على رضى الله عنه أربع سنوات وتسعة أشهر من ١٩ ذى الحجة سنة ٣٥هـ إلى ١٩ رمضان سنة ٤٠هـ .

فجموع خلافة هؤلاء الأربعة تسع وعشرون سنة وستة أشهر وأربعة أيام .

ثم بويع الحسن بن على رضى الله عنهما يوم مات أبوه على رضى الله عنه وفى ربيع الأول سنة ٤١هـ سلم الأمر إلى معاوية وبذلك ظهرت آية النبى ﷺ فى قوله : «الخلافة بعدى ثلاثون سنة» وقوله فى الحسن : « إِنَّ ابْنِى هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللهُ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ من المُسْلِمِين » . رواه البخارى(١٣٤)

* * *

(١٣٣) تقدم تخريجه ص (٣٩) .

(١٣٤) البخارى : كتاب الصلح : باب قول النبى ﷺ للحسن بن على ... (٢٧٠٤) من حديث أبى بكرة رضى الله عنه ضمن رواية مطولة .

فالحسن سبط رسول الله ﷺ وريحانته وهو أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين على ابن أبى طالب ولد فى ١٥رمضان سنة ٣ ومات فى المدينة ودفن فى البقيع فى ربيع الأول ٥٠هـ .

والحسين سبط رسول الله ﷺ وريحانته وهو ابن على بن أبى طالب رضى الله عنه ولد فى شعبان سنة ٤هـ وَقُتِل فى كربلاء فى ١٠محرم سنة ٦١هـ وثابت وهو ابن قيس بن شماس الأنصارى الخزرجى خطيب الأنصار قُتِل شهيداً يوم اليمامة سنة ١١هـ فى آخرها أو أول سنة ١٢هـ .

[٨٠] ونشهد للعشرة بالجنة ، كما شهد لهم النبى ﷺ فقال : « أَبُوبَكْرٍ فى الجَنَّة ، وعُمَرُ فى الجَنَّة ، وعُثْمَان فى الجَنَّة ، وعَلىٌّ فى الجَنَّة ، وطَلْحَة فى الجنَّة ، والزُّبير فى الجَنَّة ، وسَعْدٌ فى الجَنَّة ، وسَعِيد فى الجَنَّة ، وعَبْدالرَّحمن بن عَوْف فى الجَنَّة ، وأَبُوعبيدة بن الجَرَّاح فى الجَنَّة » .

[٨١] وكل من شهد له النبى ﷺ بالجنة شهدنا له بها ، كقوله : « الحَسَنُ والحُسَيْن سَيِّدا شَبَاب أَهْل الجَنَّة » . وقوله لثابت بن قيس : « إنَّه مِنْ أَهْلِ الجَنَّة » .

[٨٢] ولا نجزم لأحدٍ من أهل القبلة بجنةٍ ولا نار ، إلا من جزم له الرسول ﷺ لكنا نرجو للمحسن ، ونخاف على المسىء .

..... الشـــرح .....

الشــهادة بالجنة أو بالنــار

الشهادة بالجنة أو بالنار ليس للعقل فيها مدخل فهى موقوفة على الشرع فمن شهد له الشارع بذلك شهدنا له ومن لا فلا لكننا نرجو للمحسن ونخاف على المسىء .

وتنقسم الشهادة بالجنة أو بالنار إلى قسمين عامة وخاصة .

فالعامة : هى المعلَّقة بالوصف مثل أن نشهد لكل مؤمن بأنه فى الجنة أو لكل كافر بأنه فى النار أو نحو ذلك من الأوصاف التى جعلها الشارع سبباً لدخول الجنة أو النار .

والخاصة : هى المعلَّقة بشخص : مثل أن نشهد لشخص معين بأنه فى الجنة أو لشخص معين بأنه فى النار فلا نعين إلا ما عينه الله أو رسوله .

المعينـون من أهل الجنــة

المعينون من أهل الجنة كثيرون ومنهم : العشرة المبشرون بالجنة وخُصُّوا بهذا الوصف لأن النبى ﷺ جمعهم فى حديث واحد فقال : « أبُوبَكْرٍ فى الجَنَّةِ وعُمَر فى الجنَّة وعُثْمَان فى الجَنَّة وعَلىٌّ فِى الجَنَّة وطَلْحَة فى الجنَّة والزُّبير فى الجَنَّة وعبدالرَّحْمن ابن عَوْف فى الجَنَّة وسَعْد بن أَبى وَقَّاص فى الجَنَّة وسَعِيد بن زَيْد فى الجَنَّة وأَبُو عُبَيْدَة بن الجَرَّاح فى الجَنَّة » رواه الترمذى وصححه الألبانى .(١٣٥)

وقد سبق الكلام على الخلفاء الأربعة وأما الباقون فجمعوا فى هذا البيت :

سعيد وسعد وابن عوف وطلحة وعامر فهر والزبير المُمَدَّح

فطلحـة : هو ابن عبيدالله من بنى تيم بن مرة أحد الثمانية السابقين إلى الإسلام قتل يوم الجمل فى جمادى الآخرة سنة ٣٦هـ عن ٦٤سنة .

---

(١٣٥) **حديث صحيح** : أخرجه أبوداود (٤٦٤٩) ، (٤٦٥٠) والترمذى (٣٧٤٨) و(٣٧٥٧) وابن ماجة (١٣٤) وأحمد (١٨٧/١ ، ١٨٨ ، ١٨٩) وفى فضائل الصحابة (٨٧ ، ٩٠ ، ٢٢٥) وابن أبى عاصم (١٤٢٨ ، ١٤٣١ ، ١٤٣٦) والحاكم (٤٤٠/٤) والنسائى فى الفضائل (٨٧ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ١٠٦) وأبونعيم (٩٥/١) وغيرهم من حديث سعيد بن زيد مرفوعًا وإسناده صحيح وصححه الألبانى فى صحيح الجامع الصغير (٤٠١٠) .

وفى الباب عن عبدالرحمن بن عوف : أخرجه الترمذى (٣٧٤٨) وأحمد (١٩٣/١) وفى الفضائل (٢٧٨) والنسائى فى الفضائل (٩١) والبغوى فى شرح السنة (٣٩٢٥) بإسنادٍ صحيح .

والزبير : **هو ابن العوام** من بنى قُصى بن كلاب ابن عمة رسول الله ﷺ انصرف يوم الجمل عن قتال على فلقيه ابن جرموز فقتله فى جمادى الأولى سنة ٣٦ عن ٦٧ سنة .

وعبدالرحمن بن عوف : من بنى زهرة بن كلاب توفى سنة ٣٢هـ عن ٧٢ سنة ودفن بالبقيع .

وسعد بن أبى وقاص : هو ابن مالك من بنى عبد مناف ابن زهرة أول من رَمَىٰ بسهم فى سبيل الله مات فى قصره بالعقيق على عشرة أميال من المدينة ودفن بالبقيع سنة ٥٥هـ عن ٨٢ سنة .

وسعيد بن زيد : هو ابن زيد بن عمرو بن نفيل العدوى كان من السابقين إلى الإسلام توفى بالعقيق ودفن بالمدينة سنة ٥١هـ عن بضع وسبعين سنة .

أبوعبيدة : هو عامر بن عبدالله بن الجراح من بنى فهر من السابقين إلى الإسلام توفى فى الأردن فى طاعون عَمْواس سنة ١٨ عن ٥٨سنة .

- وممن شهد له النبى ﷺ بالجنة الحسن والحسين وثابت بن قيس .

قال النبى ﷺ : « الحَسَنُ والحُسَيْن سَيِّدا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّة » رواه الترمذى . وقال حسن صحيح(١٣٦) .

---

(١٣٦) **حديث صحيح** : أخرجه الترمذى (٣٧٦٨) وأحمد (٣/١٦٦ ، ١٦٧) والنسائى فى الكبرى كما فى تحفة الأشراف (٣/٣٩٠) وابن حبان (٢٢٢٨-موارد) والحاكم (٣/١٦٦، ١٦٧) والخطيب فى تاريخ (٤/٢٠٧ ، ١١/٩٠) وأبونعيم فى الحلية (٥/٧١) من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه وقال الترمذى : حديث « حسن صحيح » .

وقال الألبانى فى الصحيحة (٧٩٦) « وهو كما قال » أ.هـ وأورد له طرق كثيرة عن جمع من الصحابة ثم قال « وبالجملة فالحديث صحيح بلاريب ، بل متواتر كما نقله المناوى » أ.هـ .

وقال ﷺ فى ثابت بن قيس : « إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَلَكِنَّكَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّة » رواه البخارى[137] .

المُعَيَّنونَ من أهل النار فى الكتاب والسنة

● من المعينين بالقرآن أبو لهب عبدالعزى بن عبدالمطلب عم النبى ﷺ وامرأته أم جميل أَرْوى بنت حرب بن أمية أخت أبى سفيان لقوله تعالى :

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾

[المسد : ١] إلى آخر السورة .

● ومن المعينين بالسنة أبوطالب عبدمناف بن عبدالمطلب لقول النبى ﷺ : « أَهْون أَهْل النَّار عَذَاباً أَبُوطَالِبٍ وهو مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَين يَغْلِى مِنْهُمَا دِمَاغُه » ، رواه البخارى[138] .

---

(١٣٧) البخارى : كتاب المناقب : باب علامات النبوة (٣٦١٣) .

ومسلم : كتاب الإيمان : باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله (١١٩) (١٨٧) من حديث أنس رضى الله عنه .

(١٣٨) أخرجه بهذا اللفظ :

مسلم : كتاب الإيمان : باب أهون أهل النار عذاباً (٢١٢) (٣٦٢) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما .

وأخرجه البخارى (٦٥٦١) ومسلم (٢١٣) (٣٦٤) من حديث النعمان ابن بشير بلفظ : « إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لرجل توضع فى أخمص قدميه جمرتان ، يغلى منهما دماغه » .

ومنهم عمرو بن عامر بن لحى الخزاعى قال النبى ﷺ : « رَأَيْتهُ يَجُرُّ أَمْعَاءَهُ فى النَّار » . رواه البخارى وغيره[139] .

* * *

[٨٣] ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنبٍ ولا نخرجه عن الإسلام بعملٍ .

[٨٤] ونرى الحج والجهاد ماضياً مع طاعة كل إمام ، برّاً كان أو فاجراً ، وصلاة الجمعة خلفهم جائزة .

[٨٥] قال أنس : قال النبى ﷺ : « ثَلَاثٌ من أَصْل الإيمان : الكَفُّ عَمَّنْ قال : لَا إِلٰهَ إِلَّا الله ، وَلَا نُكفِّره بِذَنْبٍ ، وَلَا نُخْرِجُه مِنَ الإِسْلَامِ بِعَمَلٍ وَالجِهاد مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَنِى ٱللهُ عزَّ وجلَّ حَتىٰ يُقَاتِل آخرُ أُمَّتى الدَّجَّال ، لايُبْطِله جَوْرُ جَائِرٍ ، وَلَا عَدلُ عَادِلٍ ، والإِيمانُ بالأَقْدَار » . رواه أبو داود[140] .

---

(١٣٩) البخارى : كتاب التفسير من سورة المائدة : باب ﴿ ماجعل الله من بحيرة ولاسائبة ... ﴾ (٤٦٢٤) من حديث عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « رَأَيْتُ جَهَنَّم يَحْطِم بَعْضها بَعْضاً وَرَأَيْتَ عَمْراً يجرُّ قُصْبَهُ ، وهو أَوَّل من سَيَّب السَّوائب » .

وفى الباب عن جابر فى حديث الكسوف الطويل وفيه « ورَأَيْتُ أَبَا ثُمَامَة عمرو بن مَالك يجرُّ قُصْبَه فى النار » أخرجه مسلم (٩٠٤) (٩) .

وقُصْبَهُ : أَمْعَاءَه .

(١٤٠) **حديث ضعيف** : أخرجه أبوداود (٢٥٣٢) وأبوعبيد القاسم بن سلام فى الإيمان ص (٤٧) وإسناده ضعيف فيه يزيد بن أبى نشبة وهو مجهول كما فى التقريب وضعف إسناده المنذرى فى مختصر سنن أبى داود (٣٨٠/٣) لهذا السبب .

..... الشـــرح .....

تكفـير أهل القبلة بالمعاصـى

أهل القبلة هم المسلمون المصلون إليها لا يكفرون بفعل الكبائر ولا يخرجون من الإسلام بذلك ولا يخلدون فى النار لقوله تعالى :

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾

[الحجرات : ٩]

إلى قوله :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾

[الحجرات : ١٠]

فأثبت الأخوة الإيمانية مع القتال وهو من الكبائر ولو كان كفراً لانتفت الأخوة الإيمانية .

وقال النبى ﷺ يقول الله تعالى : « مَنْ كَانَ فِى قَلْبِه مِثْقَالُ حبَّة خَرْدَلٍ مِنْ إيمَانٍ فَأَخْرِجُوه » يعنى من النار . متفق عليه[١٤١] .

وخالف فى هذا طائفتان :

الأولى : الخوارج قالوا : فاعل الكبيرة كافر خالد فى النار .

الثانية : المعتزلة قالوا : فاعل الكبيرة خارج عن الإيمان ليس بمؤمن ولا كافر فى منزلةٍ بين منزلتين وهو خالد فى النار . ونرد على الطائفتين بما يأتى :

١ – مخالفتهم لنصوص الكتاب والسنة .

٢ – مخالفتهم لإجماع السلف .

* * *

---

(١٤١) تقدم تخريجه ص (١٠٠) .

[٨٦] ومن السنة تَوَلّى أصحاب رسول الله ﷺ ومحبتهم وذكر محاسنهم والتَّرحم عليهم والاستغفار لهم، والكف عن ذكر مساوئهم، وما شجر بينهم، واعتقاد فضلهم ومعرفة سابقتهم، قال الله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾

[الحشر : ١٠]

وقال تعالى:

﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ ﴾

[الفتح : ٢٩]

..... الشـــرح .....

حقـوق الصحابة رضى الله عنهـم

للصحابة رضى الله عنهم فضل عظيم على هذه الأمة حيث قاموا بنصرة الله ورسوله والجهاد فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم وحفظ دين الله بحفظ كتابه وسنة رسوله ﷺ علما وعملا وتعليماً حتى بَلَّغُوه الأمة نقياً طَرِيّاً.

وقد أثنى الله عليهم فى كتابه أعظم ثناء حيث يقول فى سورة الفتح:

﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ ﴾

[الفتح : ٢٩] إلى آخر السورة.

وحمى رسول الله ﷺ حمى كرامتهم حيث يقول ﷺ : « لا تَسُبُّوا أَصْحَابِى فَوالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لو أَنْفَقَ أَحَدُكم مثل أُحُد ذَهَباً مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدُهم وَلَا نَصِيفَه » متفق عليه .[142] فحقوقهم على الأمة من أعظم الحُقُوق فلهم على الأمة :

١ - محبتهم بالقلب والثناء عليهم باللسان بما أَسْدَوه من المعروف والإحسان .

٢ - الترحم عليهم والاستغفار لهم تحقيقاً لقوله تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر : ١٠]

٣ - الكف عن مساوئهم التى إن صدرت عن أحدٍ منهم فهى قليلة بالنسبة لما لهم من المحاسن والفضائل وربما تكون صادرة عن اجتهاد مغفور وعمل معذور لقوله ﷺ : « لا تَسُبُّوا أَصْحَابِى » الحديث .

* * *

[٨٧] وقال النبى ﷺ : « لا تَسُبُّوا أَصْحَابِى ، فإِنَّ أَحَدَكُم لَوْ أَنْفَقَ مِثْل أُحُدٍ ذَهَباً مَابَلَغ مُدَّ أَحَدِهم وَلَا نَصِيفَه »[143] .

---

(١٤٢) البخارى : كتاب فضائل الصحابة : باب قول النبى ﷺ : « لو كنت متخذاً خليلاً ... » (٣٦٧٣) .

ومسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب تحريم سب الصحابة (٢٥٤١) (٢٢٢) من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنهم .

* مُدَّ أحدهم : المُدُّ بضم الميم ربع الصاع ، والنَّصيف : بمعنى النصف .

(١٤٣) تقدم تخريجه .

..... الشــــرح .....

حكــم سب الصحابــة

سب الصحابة على ثلاثة أقسام :

الأول : أن يسبهم بما يقتضى كفر أكثرهم أو أن عامتهم فسقوا فهذا كفر لأنه تكذيب لله ورسوله بالثناء عليهم والترضى عنهم بل من شك فى كفر مثل هذا فإن كفره متعين لأن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب أو السنة كفار أو فساق .

الثانى : أن يسبهم باللعن والتقبيح ففى كفره قولان لأهل العلم وعلى القول بأنه لا يكفر يجب أن يجلد ويحبس حتى يموت أو يرجع عما قال .

الثالث : أن يسبهم بما لايقدح فى دينهم كالجبن والبخل فلا يكفر ولكن يعزر بما يردعه عن ذلك ذكر معنى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية فى كتاب « الصارم المسلول » ونقل عن أحمد فى ص(٥٧٣) قوله : « لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئهم ولا يطعن على أحد منهم بعيب أو نقص فَمَنْ فعل ذلك أُدِّبَ فإن تاب وإلَّا جلد فى الحبس حتى يموت أو يرجع » .

* * *

[٨٨] ومن السنة : التَّرضى عن أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين المطهرات المبرآت من كل سوء ، أفضلهم خديجة بنت خويلد ، وعائشة الصديقة بنت الصديق التى برأها الله فى كتابه ، زوج النبى ﷺ فى الدُّنيا والآخرة ، فمن قذفها بما برأها الله منه فقد كفر بالله العظيم .

..... الشــــرح .....

حقــوق زوجـات النبـى ﷺ

زوجات النبى ﷺ زوجاته فى الدنيا والآخرة وأمهات المؤمنين ولهن من الحرمة والتعظيم ما يليق بهن كزوجات لخاتم النبيين فهن من آل بيته طاهرات

مطهرات طيبات مطيبات بريئات مبرآت من كل سوء يقدح فى أعراضهن وفرشهن فالطيبات للطيبين والطيبون للطيبات فرضى الله عنهن وأرضاهن أجمعين وصلى الله وسلم على نبيه الصادق الأمين .

زوجاته ﷺ اللاتى كان فراقهن بالوفاة وهن :

١ - خديجة بنت خويلد أم أولاده ما عدا إبراهيم تزوجها رسول الله ﷺ بعد زوجين الأول عتيق بن عابد والثانى أبو هالة التميمى ولم يتزوج ﷺ عليها حتى ماتت سنة ١٠هـ من البعثة قبل المعراج .

٢ - عائشة بنت أبى بكر الصديق أُريها ﷺ فى المنام[١٤٤] مرتين أو ثلاثاً وقيل : « هذه امرأتك » فعقد عليها ولها ست سنين بمكة ودخل عليها فى المدينة ولها تسع سنين توفيت سنة ٥٨هـ .

٣ - سودة بنت زمعة العامرية تزوجها بعد زوج مسلم هو السكران بن عمرو أخو سهيل بن عمرو توفيت آخر خلافة عمر وقيل سنة ٥٤هـ .

٤ - حفصة بنت عمر بن الخطاب تزوجها ﷺ بعد زوج مسلم هو خنيس بن حذافة الذى قتل فى أحد وماتت سنة ٤١هـ .

٥ - زينب بنت خزيمة الهلالية أم المساكين تزوجها بعد استشهاد زوجها عبدالله بن جحش فى أحد وماتت سنة ٤هـ بعد زواجها بيسير .

٦ - أم سلمة هند بنت أبى أمية المخزومية تزوجها بعد موت زوجها أبى سلمة عبدالله بن عبدالأسد من جراحة أصابته فى أحد وماتت سنة ٦١هـ .

٧ - زينب بنت جحش الأسدية بنت عمته ﷺ تزوجها بعد مولاه زيد بن حارثة سنة ٥هـ وماتت سنة ٢٠هـ .

---

(١٤٤) البخارى : كتاب مناقب الأنصار : باب تزويج النبى ﷺ عائشة ... (٣٨٩٥) .

ومسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب فضل عائشة ... (٢٤٣٨) (٧٩) من حديث عائشة رضى الله عنها .

٨ - جويرية بنت الحارث الخزاعية تزوجها بعد زوجها مسافع بن صفوان وقيل : مالك بن صفوان سنة ٦هـ وماتت سنة ٥٦هـ .

٩ - أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان تزوجها بعد زوج أسلم ثم تنصر هو عبيدالله بن جحش وماتت فى المدينة فى خلافة أخيها سنة ٤٤هـ .

١٠ - صفية بنت حيى بن أخطب من بنى النضير من ذرية هرٰون بن عمران ﷺ اعتقها وجعل عتقها صداقها بعد زوجين أولهما سلام بن مشكم والثانى كنانة بن أبى الحقيق بعد فتح خيبر سنة ٦هـ وماتت سنة ٥٠هـ .

١١ - ميمونة بنت الحارث الهلالية تزوجها سنة ٧هـ فى عمرة القضاء بعد زوجين الأول ابن عبد ياليل والثانى أبو رهم بن عبدالعزى بنى بها فى سرف وماتت فيه سنة ٥١هـ .

فهذه زوجات النبى ﷺ اللاتى كان فراقهن بالوفاة اثنتان توفيتا قبله وهما : خديجة وزينب بنت خزيمة وتسع توفى عنهن وهن البواقى .

وبقى اثنتان لم يدخل بهما ولا يثبت لهما من الأحكام والفضيلة ما يثبت للسابقات وهما :

١ - أسماء بنت النعمان الكندية تزوجها النبى ﷺ ثم فارقها واختلف فى سبب الفراق فقال ابن اسحق إنه وجد فى كشحها بياضاً ففارقها فتزوجها بعده المهاجر بن أبى أمية .

٢ - أميمة بنت النعمان بن شراحيل الجونية وهى التى قالت : « أعوذ بالله منك »[١٤٥] ففارقها والله أعلم .

---

(١٤٥) راجع تلخيص الحبير لابن حجر (١٣٢/٢ ، ١٣٣) .

وأفضل زوجات النبى ﷺ خديجة وعائشة رضى الله عنهما ولكل منهما مزية على الأخرى[146] فلخديجة فى أول الإسلام ما ليس لعائشة من السبق والمؤازرة والنصرة ولعائشة فى آخر الأمر ما ليس لخديجة من نشر العلم ونفع الأمة وقد برأها الله مما رماها به أهل النفاق من الإفك فى سورة النور .

قـذف أمهـات المـؤمنين

قذف عائشة بما برأها الله منه كفر لأنه تكذيب للقرآن وفى قذف غيرها من أمهات المؤمنين قولان لأهل العلم أصحهما أنه كفر لأنه قدح فى النبى ﷺ فإن الخبيثات للخبيثين .

* * *

[٨٩] ومعاوية خال المؤمنين ، وكاتب وَحْى الله ، أحد خلفاء المسلمين رضى الله عنهم .

..... الشـــرح .....

معــاوية بن أبى ســفيان

هو أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان صخر بن حرب ولد قبل البعثة بخمس سنين وأسلم عام الفتح وقيل : أسلم بعد الحديبية وكتم إسلامه وَلَّاه عمر الشام

---

(١٤٦) قال الحافظ الذهبى فى سير اعلام النبلاء (٢/١٤٠) فى ترجمة أم المؤمنين عائشة : « وكانت امرأة بيضاء جميلة ومن ثم يقال لها الحميراء . ولم يتزوج النبى ﷺ بكراً غيرها ، ولا أحب امرأة حبها . ولا أعلم فى أمة محمد ﷺ بل ولا فى النساء مطلقاً امرأة أعلم منها . وذهب بعض العلماء إلى أنها أفضل من أبيها وهذا مردود وقد جعل الله لكل شىء قدراً ، بل نشهد أنها زوجة نبينا فى الدنيا والآخرة فهل فوق ذلك مفخر ، وإن كان للصديق خديجة شأوٌ لايلحق وأنا واقف فى أيتهما أفضل . نعم جزمت بأفضلية خديجة عليها لأمور ليس هذا موضعها » أ.هـ .

واستمر عليه وتسمى بالخلافة بعد الحكمين عام ٣٧هـ واجتمع الناس عليه بعد تنازل الحسن بن علي سنة ٤١هـ كان يكتب للنبي ﷺ ومن جُمْلة كُتَّاب الوحي توفى في رجب سنة ٦٠هـ عن (٧٨) سنة وإنما ذكره المؤلف وأثنى عليه للرد على الروافض الذين يسبونه ويقدحون فيه وسماه خال المؤمنين لأنه أخو أم حبيبة إحدى أمهات المؤمنين وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة ص(١٩٩) ج(٢) نزاعاً بين العلماء هل يُقَال لأخوة أمهات المؤمنين أخوال المؤمنين أم لا ؟

* * *

[**٩٠**] ومن السنة : **السَّمع والطَّاعة لأئمة المسلمين وأمراء المؤمنين ، برهم وفاجرهم ، ما لم يأمروا بمعصية الله ، فإنه لا طاعة لأحدٍ في معصية الله .**

[**٩١**] **ومن وَلِيَ الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به أو غلبهم بسيفه حتى صار الخليفةوَسُمِّيأمير المؤمنين ، وجبت طاعته وحرمت مخالفته والخروج عليه وشق عصا المسلمين .**

..... الشـــرح .....

الخـــلافة

الخلافة منصب كبير ومسؤولية عظيمة وهي تَوَلِّي تدبير أمور المسلمين بحيث يكون هو المسؤول الأول في ذلك . وهي فرض كفاية لأن أمور الناس لا تقوم إلا بها وتحصل الخلافة بواحد من أمور ثلاثة :

الأول : النص عليه من الخليفة السابق كما في خلافة عمر بن الخطاب فإنها بنص من أبي بكر رضي الله عنه .

الثاني : اجتماع أهل الحل والعقد سواء كانوا معينين من الخليفة السابق كما في خلافة عثمان رضي الله عنه فإنها باجتماع من أهل الحل والعقد المعينين من قبل عمر بن

الخطاب رضى الله عنه أم غير معينين كما فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه على أحد الأقوال وكما فى خلافة على رضى الله عنه .

الثالث : القهر والغلبة كما فى خلافة عبدالملك بن مروان حين قتل ابن الزبير وتمت الخلافة له .

حكم طاعة الخليفة

طاعة الخليفة وغيره من ولاة الأمور واجبة فى غير معصية الله لقوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾
[النساء : ٥٩]

ولقوله ﷺ : « السَّمْعُ والطَّاعة عَلَى المُسْلِم فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ مَا لَمْ يُؤْمَر بِمَعْصية فَإِذَا أُمِر بمَعْصِية فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَة » متفق عليه .[١٤٧]

وسواء كان الإمام بَرّاً وهو القائم بأمر الله فعلًا وتركاً أو فاجراً وهو الفاسق لقوله ﷺ : « إلَّا مَنْ وَلِى عليه وَالٍ فَرآه يَأْتِى شَيْئاً مِنْ مَعْصِية آلله فَلْيَكْره مَا يَأْتى مِنْ مَعْصِية آلله وَلَا يَنْزِعنَّ يَداً مِنْ طَاعَة » . رواه مسلم[١٤٨]

والحج والجهاد مع الأئمة ماضيان نافذان وصلاة الجمعة خلفهم جائزة سواء كانوا أبراراً أو فجاراً لأن مخالفتهم فى ذلك توجب شق عصا المسلمين والتمرد عليهم .

---

(١٤٧) البخارى : كتاب الأحكام : باب السمع والطاعة (٧١٤٤) .

ومسلم : كتاب الإمارة : باب وجوب طاعة الأمراء ... (١٨٣٩) (٣٨) من حديث ابن عمر رضى الله عنهما .

(١٤٨) مسلم : كتاب الإمارة : باب خيار الأئمة وشرارهم (١٨٥٥) (٦٦) .

من حديث عوف بن مالك رضى الله عنه .

والحديث الذى ذكره المؤلف: «ثلاث من أصل الإيمان ... الخ » ضعيف كما رمز له السيوطى فى الجامع الصغير وفيه راو قال المزى إنه مجهول وقال المنذرى فى مختصر أبى داود : شبه مجهول .[149]

والثلاث خصال المذكورة فيه هى : الكف عمن قال : لا إله إلا الله والثانية الجهاد ماضٍ ... الخ والثالثة الإيمان بالأقدار .

والخروج على الإمام محرم لقول عبادة بن الصامت رضى الله عنه : « بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فى منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان » متفق عليه[150] .

وقال ﷺ : « يَكُون عَلَيْكُم أُمَرَاء تَعْرِفُونَ وتُنْكِرُونَ فَمَنْ أَنْكَرَ فقد بَرِىء وَمَنْ كَرِهَ فَقَد سَلِمَ وَلَكِن مَنْ رَضِى وَتَابعَ قَالُوا : أَفَلَا نُقَاتِلُهم ؟ قَالَ : لَا مَاصَلُّوا لَا مَاصَلُّوا » . أى من كره بقلبه وأنكر بقلبه . رواه مسلم[151] .

ومن فوائد الحديثين أن ترك الصلاة كفر بواح لأن النبى ﷺ لم يجز الخروج على الأئمة إلا بكفر بواح وجعل المانع من قتالهم فعل الصلاة فدل على أن تركها مبيح لقتالهم وقتالهم لا يباح إلا بكفر بواح كما فى حديث عبادة .

* * *

---

(١٤٩) تقدم تخريجه ص (١٤٨) .

(١٥٠) البخارى : كتاب الفتن : باب قول النبى ﷺ : « سترون بعدى أموراً ... » (٧٠٥٥) (٧٠٥٦)

ومسلم : كتاب الإمارة : باب وجوب طاعة الأمراء ... (١٧٠٩) (٤٢) من حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه .

(١٥١) مسلم : كتاب الإمارة : باب خيار الأئمة (١٨٥٤) (٦٣) (٦٤) من حديث عبدالله بن مسعود رضى الله عنه .

[٩٢] ومن السُّنة : هجران أهل البدع ، ومُبَاينتهم ، وترك الجدال والخصومات فى الدِّين ، وترك النظر فى كتب المبتدعة والإصغاء إلى كلامهم ، وكل محدثةٍ فى الدِّين بدعة .

..... الشـــرح .....

هجــران أهل البــدع

الهجران مصدر هجر وهو لغة : الترك والمراد بهجران أهل البدع الإبتعاد عنهم وترك محبتهم وموالاتهم والسلام عليهم وزيارتهم وعيادتهم ونحو ذلك .

وهجران أهل البدع واجب لقوله تعالى :

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾

[المجادلة : ٢٢]

ولأن النبى ﷺ هجر كعب بن مالك وصاحبيه حين تخلَّفوا عن غزوة تبوك .(١٥٢)

لكن إن كان فى مجالستهم مصلحة لتبيين الحق لهم وتحذيرهم من البدعة فلا بأس بذلك وربما يكون ذلك مطلوباً لقوله تعالى :

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾

[النحل : ١٢٥]

وهذا قد يكون بالمجالسة والمشافهة وقد يكون بالمراسلة والمكاتبة ومن هجر أهل البدع ترك النَّظر فى كتبهم خوفاً من الفتنة بها أو ترويجها بين الناس فالابتعاد

---

(١٥٢) قصة توبة كعب بن مالك وصاحبيه فى الصحيحين : البخارى (٤٤١٨) ومسلم (٢٧٦٩) (٥٣) .

وراجع الكلام على فقه القصة وما فيها من الفوائد والحكم فى كتاب زاد المعاد لابن القيم (٥٥٨/٣) .

عن مواطن الضلال واجب لقوله ﷺ فى الدجال : « مَنْ سَمِعَ به فَلْيَنأَ عَنْه فوالله إنَّ الرَّجل لَيَأْتِيهِ وَهُو يَحْسَبُ أَنَّه مُؤْمِن فَيَتَّبِعَهُ مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ » . رواه أبوداود قال الألبانى : وإسناده صحيح(١٥٣) .

لكن إن كان الغرض من النظر فى كتبهم معرفة بدعتهم للرد عليها فلا بأس بذلك لمن كان عنده من العقيدة الصحيحة ما يتحصن به وكان قادراً على الرد عليهم بل ربما كان واجباً لأن رد البدعة واجب وما لايتم الواجب إلا به فهو واجب .

الجدال والخصام فى الدين

الجدال : مصدر جادل والجدل منازعة الخصم للتغلب عليه وفى القاموس الجدل : اللدد فى الخصومة والخصام المجادلة فَهُمَا بمعنى واحد .

وينقسم الخصام والجدال فى الدين إلى قسمين :

الأول : أن يكون الغرض من ذلك إثبات الحق وإبطال الباطل وهذا مأمور به إما وجوباً أو استحباباً بحسب الحال لقوله تعالى :

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾

[النحل : ١٢٥]

الثانى : أن يكون الغرض منه التعنيت أو الانتصار للنفس أو للباطل فهذا قبيح منهى عنه لقوله تعالى :

﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾

[غافر : ٤]

---

(١٥٣) **حديث صحيح** : أخرجه أحمد (٤٣/٤ ، ٤٤١) وأبوداود (٤٣١٩) والحاكم (٥٣١/٤) .

من حديث عمران بن حصين .

وقد صححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٣٠١) وتخريج المشكاة (٥٤٨٨) .

وقوله :

﴿ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾

[غافر : ٥]

* * *

. [٩٣] وكل مُتَّسِمٍ بغير الإسلام والسُّنة مبتدع ، كالرافضة ، والجهمية والخوارج والقدرية والمرجئة، والمعتزلة والكرامية والكلابية ونظائرهم فهذه فرق الضلال ، وطوائف البدع ، أعاذنا الله منها .

..... الشـــرح .....

علامة أهل البدع وذكر بعض طوائفهم :

لأهل البدع علامات منها :

١ - أنهم يتصفون بغير الإسلام والسنة بما يحدثونه من البدع القولية والفعلية والعقيدية .

٢ - أنهم يتعصبون لآرائهم فلا يرجعون إلى الحق وإن تبين لهم .

٣ - أنهم يكرهون أئمة الإسلام والدين .

ومن طوائفهـــم :

١ - الرافضية : وهم الذين يغلون فى آل البيت **ويُكَفِّرُون** من عداهم من الصحابة أو يفسقونهم وهم فرق شتى فمنهم الغلاة الذين ادعوا أن علياً إله ومنهم دون ذلك .

وأول ما ظهرت بدعتهم فى خلافة على بن أبى طالب حين قال له عبدالله بن سبأ أنت الإله فأمر على رضى الله عنه بإحراقهم وهرب زعيمهم عبدالله بن سبأ إلى المدائن .

ومذهبهم فى الصفات مختلف فمنهم المشبه ومنهم المعطل ومنهم المعتدل وسموا رافضة لأنهم رفضوا زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب حين سألوه عن أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فترحم عليهما فرفضوه وأبعدوا عنه . وسموا أنفسهم شيعة لأنهم يزعمون أنهم يتشيعون لآل البيت وينتصرون لهم ويطالبون بحقهم فى الإمامة .

٢ - **الجهمية** : نسبة إلى الجهم بن صفوان الذى قتله سالم أو سلم بن أحوز سنة ١٢١هـ مذهبهم فى الصفات التعطيل والنفى وفى القدر القول بالجبر وفى الإيمان القول بالإرجاء وهو أن الإيمان مجرد الإقرار بالقلب وليس القول والعمل من الإيمان ففاعل الكبيرة عندهم مؤمن كامل الإيمان فهم معطلة جبرية مرجئة وهم فرق كثيرة .

٣ - **الخوارج** : وهم الذين خرجوا لقتال على بن أبى طالب بسبب التحكيم .

مذهبهم التبرؤ من عثمان وعلى والخروج على الإمام إذا خالف السنة وتكفير فاعل الكبيرة وتخليده فى النار وهم فرق عديدة .

٤ - **القدرية** : وَهُم الذين يقولون بنفى القدر عن أفعال العبد وأن للعبد إرادة وقدرة مستقلين عن إرادة الله وقدرته وأول من أظهر القول به معبد الجهنى فى أواخر عصر الصحابة تلقاه عن رجل مجوسى فى البصرة وهم فرقتان غلاة وغير غلاة فالغلاة ينكرون علم الله وإرادته وقدرته وخلقه لأفعال العبد وهؤلاء انقرضوا أو كادوا . وغير الغلاة يؤمنون بأن الله عالم بأفعال العباد لكن ينكرون وقوعها بإرادة الله وقدرته وخلقه وهو الذى استقر عليه مذهبهم .

٥ - **المرجئة** : وهم الذين يقولون بإرجاء العمل عن الإيمان أى تأخيره عنه فليس العمل عندهم من الإيمان والإيمان مجرد الاقرار بالقلب فالفاسق عندهم مؤمن كامل الإيمان وإن فعل ما فعل من المعاصى أو ترك ما ترك من الطاعات وإذا حكمنا

بكفر من ترك بعض شرائع الدين فذلك لعدم الاقرار بقلبه لا لترك هذا العمل وهذا مذهب الجهمية وهو مع مذهب الخوارج على طرفى نقيض .

٦ - **المعتزلة** : أتباع واصل بن عطاء الذى اعتزل مجلس الحسن البصرى وقرر أن الفاسق فى منزلة بين منزلتين لا مؤمن ولا كافر وهو مخلد فى النار وتابعه فى ذلك عمرو بن عبيد ومذهبهم فى الصفات التعطيل كالجهمية وفى القدر قدرية ينكرون تعلق قضاء الله وقدره بأفعال العبد وفى فاعل الكبيرة أنه مخلد فى النار وخارج من الإيمان فى منزلة بين منزلتين الإيمان والكفر وهم عكس الجهمية فى هذين الأصلين .

٧ - **الكرامية** : أتباع محمد بن كرام المتوفى سنة ٢٥٥هـ يميلون إلى التشبيه والقول بالإرجاء وهم طوائف متعددة .

٨ - **السالمة** : أتباع رجل يقال له ابن سالم يقولون بالتشبيه .

وهذه هى الطوائف التى ذكرها المؤلف ثم قال : ونظائرهم مثل الأشعرية أتباع الحسن على بن إسماعيل الأشعرى كان فى أول أمره يميل إلى الاعتزال حتى بلغ الأربعين من عمره ثم أعلن توبته من ذلك وبين بطلان مذهب المعتزلة وتمسك بمذهب أهل السنة رحمه الله أما من ينتسبون إليه فبقوا على مذهب خاص يعرف بمذهب الأشعرية لايثبتون من الصفات إلا سبعاً زعموا أن العقل دل عليها ويؤولون ما عداها وهى المذكورة فى هذا البيت :

حى عليم قدير والكلام له ... إرادة وكذاك السمع والبصر

ولهم بدع أخرى فى معنى الكلام والقدر وغير ذلك .

* * *

[٩٤] وأما بالنسبة إلى إمام فى فروع الدِّين كالطَّوائف الأربع فليس بمذموم ، فإن الاختلاف فى الفروع رحمة ، والمختلفون فيه محمودون فى اختلافهم ، مُثَابون فى اجتهادهم ، واختلافهم رحمة واسعة ، واتفاقهم حجة قاطعة .

[٩٥] نسأل الله أن يعصمنا من البدع والفتنة ، ويحيينا على الإسلام والسُّنَّة ، ويجعلنا ممن يتَّبع رسول الله ﷺ فى الحياة ، ويحشرنا فى زمرته بعد الممات برحمته وفضله ، آمين .

وهذا آخر المعتقد ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً .

..... الشـــرح .....

الخـــلاف فى الفـــروع

الفروع: جمع فرع وهو لغة : مابنى على غيره ، واصطلاحاً: ما لايتعلق بالعقائد كمسائل الطهارة والصلاة ونحوها .

والاختلاف فيها ليس بمذموم حيث كان صادراً عن نية خالصة واجتهاد لا عن هوى وتعصب لأنه وقع فى عهد النبى ﷺ ولم ينكره حيث قال فى غزوة بنى قريظة : « لَا يُصَلِّيَن أَحَدٌ العَصْرَ إِلَّا فى بَنى قُرَيْظَة فَحَضَرت الصَّلاة قَبْلَ وُصُولهم فَأَخَّر بَعْضهُم الصَّلاة حَتَّى وَصَلُوا بَنِى قُرَيْظَة وَصَلَّى بَعْضهُم حِيَن خَافُوا خُرُوج الوَقْتِ وَلَمْ يُنْكِر النَّبى ﷺ عَلَى وَاحِدٍ مِنْهم » رواه البخارى[١٥٤] . ولأن الاختلاف فيها موجود فى الصحابة وهم خير القرون ولأنه لا يورث عداوة ولابغضاء ولا تفرق كلمة بخلاف الاختلاف فى الأصول .

وقول المؤلف « المختلفون فيه محمودون فى اختلافهم » ليس ثناء على الاختلاف فإن الاتفاق خير منه وإنما المراد به نفى الذم عنه وأن كل واحد محمود على ما قال لأنه مجتهد فيه مريد للحق فهو محمود على اجتهاده واتباع ما ظهر له من الحق وإن كان قد

---

(١٥٤) البخارى : كتاب صلاة الخوف : باب الطالب والمطلوب راكباً وإيماءً (٩٤٦) من حديث ابن عمر رضى الله عنهما .

لا يصيب الحق وقوله: « إن الاختلاف فى الفروع رحمة وإن اختلافهم رحمة واسعة » أى داخل فى رحمة الله وعفوه حيث لم يكلفهم أكثر مما يستطيعون ولم يلزمهم بأكثر مما ظهر لهم فليس عليهم حرج فى هذا الاختلاف بل هم فيه داخلون تحت رحمة الله وعفوه إن أصابوا فلهم أجران وإن أخطأوا فلهم أجر واحد .

الإجماع وحكمه

الإجماع لغة : العزم والاتفاق . واصطلاحاً : اتفاق العلماء المجتهدين من أمة محمد ﷺ على حكم شرعى بعد النبى ﷺ وهو حجة لقوله تعالى :

﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾

[النساء : ٥٩]

وقول النبى ﷺ : « لا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَىٰ ضَلَالَة » . رواه الترمذى[١٥٥] .

---

(١٥٥) **حديث صحيح** : أخرجه الترمذى (٢١٦٧) وابن أبى عاصم فى السنة (٨٠) والحاكم (١١٥/١ ، ١١٦) والخطيب فى الفقيه والمتفقه (٦١/١) من حديث ابن عمر وقال الترمذى « حديث غريب » وإسناده ضعيف كما فى تخريج السنة للألبانى (٤٠/١) وله طريق آخر عند الطبرانى فى الكبير (٤٤٧/١٢) وإسناده حسن . وقال الهيثمى فى المجمع (٢١٨/٥) : « رواه الطبرانى بإسنادين رجال أحدهما ثقات رجال الصحيح خلا مرزوق مولى آل طلحة وهو ثقة » أ.هـ .

وللحديث شواهد كثيرة : منها حديث ابن عباس مرفوعاً « لايجمع الله أمتى – أو قال هذه الأمة – على ضلالة ويد الله على الجماعة » أخرجه الحاكم (١١٦/١) واقتصر الترمذى على الجملة الأولى منه وإسناده جيد .

ومنها حديث أبى مسعود : أخرجه ابن أبى عاصم فى السنة (٨٥) والطبرانى فى الكبير (٢٣٩/١٧ ، ٢٤٠) والحاكم (٥٠٦/٤ ، ٥٠٧) وصححه ووافقه الذهبى وقال الهيثمى فى المجمع (٢١٩/٥) : « رجاله ثقات » وقال الحافظ فى التلخيص (١٤١/٢) : « إسناده صحيح ومثله لايقال من قبل الرأى » .

وراجع تلخيص الحبير (١٤١/٢) للإطلاع على بقية شواهده . =

التقليد

التقليد لغة: وضع القلادة فى العنق . واصطلاحاً : اتباع قول الغير بلا حجة .

وهو جائز لمن لايصل إلى العلم بنفسه لقوله تعالى :

﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[النحل : ٤٣]

والمذاهب المشهورة أربعة :

المذهب الحنفى : وإمامه أبو حنيفة النعمان بن ثابت إمام أهل العراق ولد سنة ٨٠هـ وتوفى سنة ١٥٠هـ .

المالكى : وإمامه أبو عبدالله مالك بن أنس إمام دار الهجرة ولد سنة ٩٣هـ وتوفى سنة ١٧٩هـ .

الشافعى : وإمامه أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعى ولد سنة ١٥٠هـ وتوفى سنة ٢٠٤هـ .

الحنبلى : وإمامه أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل ولد سنة ١٦٤هـ وتوفى سنة ٢٤١هـ .

= والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين وسلم تسليماً وتم التعليق على هذا الكتاب النافع المفيد « شرح لمعة الاعتقاد لابن قدامة » للشيخ محمد الصالح العثيمين فى صباح يوم الجمعة الموافق ٦ من شهر رجب ١٤١٠هـ .

بمصر . مدينة الإسماعيلية على يد الفقير إلى عفو ربه أشرف بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم غفر الله ولوالديه ولجميع المسلمين . آمين .

* * *

وهناك مذاهب أخرى كمذهب الظاهرية والزيدية والسفيانية وغيرهم وكل يؤخذ من قوله ما كان صواباً ويترك من قوله ما كان خطأً ولا عصمة إلا فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

نسأل الله أن يجعلنا من المتمسكين بكتابه وسنة رسوله ﷺ ظاهراً وباطناً وأن يتوفانا على ذلك وأن يتولانا فى الدنيا والآخرة وأن لايزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا وأن يهب لنا منه رحمة إنه هو الوهاب .

والحمد لله كثيراً . كما يحب ربنا ويرضى وكما ينبغى لكرم وجهه عز جلاله والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآل وصحبه .

تم فى عصر الجمعة الموافق ١٣٩٢/١/١٠هـ

بقلم مؤلفه الفقير إلى الله

محمد الصالح العثيمين

الفَهَارِسُ العَامَّة للكِتَابِ

١ – فهرس الآيات
٢ – فهرس الأحاديث
٣ – فهرس الآثار
٤ – فهرس الموضوعات

١ - فهرس الآيات

الآيـــة	رقمها	الصفحة
سورة المطففين		
كلا إن كتاب الفجار لفى سجين	٧	٣٣
كلا إنهم عن ربهم يومئذٍ	١٥	٨٦، ٨٧
كلا إن كتاب الأبرار لفى عليين	١٨	١٣٢
سورة الانشقاق		
فأما من أوتى كتابه بيمينه	٧-١٢	١١٥، ١٢٢
سورة الطارق		
إنهم يكيدون كيداً * وأكيد كيداً	١٥، ١٦	٢٥
سورة الغاشية		
إن إلينا إيابهم ثم إن علينا	٢٥، ٢٦	١١٧
سورة الفجر		
وجاء ربك	٢٢	٥١، ٥٢
سورة البينة		
وما أمروا إلا ليعبدوا الله	٥	٩٨، ٩٩
جزاؤهم عند ربهم جنات عدن	٨	١٣٢
سورة المسد		
تبت يدا أبي لهب وتبّ	١	١٤٧

* * *

٢ - فهرس الأحاديث

٣ - فهرس الآثار

٤ - فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

* * *

توزيع مؤسسة الجريسي
الرياض : ت ٤٠٢٢٥٦٤ • جدة : ت ٦٨٢٦١٠٥
الدمام : ت ٨٢٧١٨١١ • المدينة : ت ٨٣٨٠٥٢٩
القصيم : ت ٣٦٤٤٣٦٦ • أبها : ت ٢٢٢٠٤٨٥